

# مجتمع الأمة في المنظور القرآني مقاربة دلالية فكرية

أ.م.د. محمد جعفر محيسن العارضي  
كلية الآداب / جامعة القادسية

## الخلاصة

إذا كان التكوّن المجتمعي لا يبتعد عن كونه مجموعة من المؤسسات المنتظمة المتفاعلة التي تقوم على أساس من إدارة جماعية واقعية أو يتمناها الأفراد ؛ فإنّ النظر القرآني لا شك في أنّه يقدم نموذجاً مجتمعياً كاملاً ...

ويظل مفهوم " الأمة " في الاستعمال القرآني مفهوماً مركباً و رائداً في بناء الفكرة المجتمعية و إرساء دعائمها ، و يظل هذا المفهوم — قبل ذلك — المنطلق القرآني الذي يتضمن التأسيس الأكمل و الرؤى الحقّة في ميدان بناء مجتمع الإنسان ... و من ثمّ يقدّمه لنا و قد استوفى عناصر الحياة و الفكر . و هكذا ينبغي أن تكون قراءته ... فجاء هذا البحث ليقرأ النظر القرآني المجتمعي انطلاقاً من مفهوم " الأمة " فوقف على بعدي البناء الدلالي العمودي و الأفقي ؛ فكانت الملاحظة الدلالية أنّ المنظومة الدلالية القرآنية التي عالجت هذا المفهوم و صاغته صوغاً شاملاً تقدّمه و قد بنت له صرحاً من العلائق و التجاذبات مع مجموعة من المفاهيم المتنوعة ؛ فيأتي مصوغاً على نحو فكري متنوع متماسك ... و يأتي أيضاً و قد تكونت حوله مجموعة من المفاهيم الدالة على تجمعات ذات طابع انقسامي يتمتع بالنظر إلى أهداف مشتركة لا تنقسم إلا بلحاظاتها التجزئية و الإجرائية متكونة في داخل مستقرات و محددات مكانية تمتلك قابلية على التمدد الواقعي و الفكري ؛ ما يكسبها أهمية فائقة في التصورات الواجب تكوّنها و نحن ننظر إلى التكوّن المجتمعي الأممي الفاعل الذي يتكلّم عليه الخطاب القرآني ... ، فكانت مستقرات " المدينة " و " القرية " و " البلدة " و " البلد " و " البلاد " ... ، و الجماعات المتفاعلة فيها ... من " المهاجرين " ، و " الأنصار " ، " الأحزاب " ... كلّها عناصر مادية و فكرية داخلية في جوهر تكوّن " الأمة " .

و كانت المتبنيات " القومية " ، و " اللغوية " و مظاهر " الأحقية التاريخية " ، و تكونات " الدولة " و " الوطن " و الإرادة المجتمعية محطات كان الوقوف عليها مسوغاً و مفيداً ؛ لأنّها تمرّات و مستقرات فكرية تقود إلى الفهم الكامل القائم على التقارب و التباعد بين هذه المتبنيات من جهة و ما يكون من تباعد و تقارب بينها و بين " الأمة " من جهة ثانية ...

و مما تجدر الإشارة إليه في هذه المقاربة الدلالية ذات المؤدى الفكري أنّ التعالق الدلالي الذي توافر عليه هذا المفهوم يدفع نحو التعامل معه و تمثّله تمثّلاً كما ينبغي للاستعمال القرآني و مساحة الدلالة المعرفية الكبرى التي يتحرّك فيها ؛ ذلك أنّه يتناول " الأمة " و يبينها بلحاظ أبعاد من التعدد و التنوع ليست تقف عند حدود المساحة المجتمعية ( المألوفة ) ، بل تقوم على أساس من التخطي الواعي لتحل في منطقة النظر العقيدية ، و الفكري ، و البناء .

## المقدمة

إذا أردنا أن نقيم شبكة المعنى القرآني أو منظومته المعرفية كما ينبغي للقرآن الكريم علينا أن نلاحظ في تعاطينا دلالة الخطاب القرآني مجموعة متظاهرة و متماسكة من المطالب و الأبعاد في الطريق إلى كمال المعنى لهذا الخطاب المتفرد ، و ينبغي من جهة أخرى عدم اختزال دلالة الخاصة القرآنية في بعد نعرفه أو ندّعي أنّنا نعرفه ...

ومجموعة المطالب المتظاهرة التي يفيض بها الخطاب القرآني تتوزع بين المطالب النفسية ، و المجتمعية ، و الأخلاقية ، و التربوية ، و الإدارية ، و الاقتصادية ، و السياسية ... و هذه المطالب و آليات النظر الدلالي هي ما يقودنا إلى الدعوة إلى نظر دلالي مخصوص بالقرآن الكريم من الممكن أن يتمثله علم دلالة يمكن تسميته " علم الدلالة المعارفي " يمتلك من الآليات ما تتكشف به الحقائق القرآنية كلها ، من خلال الوقوف على النظام اللغوي و ما يحوي من إمكانات اختيارية ، تتضمن طاقات دلالية متعددة و متنوعة يتحدد على ضوء منها اختيار هذه الامكانية أو تلك في الطريق إلى إنتاج معنى ما ، من دون أن يغيب عنا أن القرآن الكريم يوظف إمكانات النظام اللغوي و يتعاطى طاقاتها الدلالية على نحو الكمال ، و هذه آية تفرده و إعجازه . و لابد من سياسة ذلك كله في إطار استظهار سياقي شامل تتجلى فيه الموازنات السياقية لموارد الاستعمال الذي يبدو متقاربا ... فنكون أمام نظر دلالي يفتح إلى حد أن يسع بين جنبه آفاق الفكر ، و مقتضيات الحياة ، و العقيدة كلها ... و ما نجده في المنظومة القرآنية أنه قد اجتمعت فيها كثير من المطالب المتنوعة ؛ فعلى المحلل الدلالي أن يسعى إلى جعلها تتمحور حول بعد أو مجموعة أبعاد لعل أقربها البعد الاجتماعي ؛ فما كان من القرآن الكريم إلا أن سعى إلى تقديم النموذج المجتمعي لبني الإنسان على أسس من التكامل و التكافل ... ، فالدارس للمنجز القرآني الفكري ينبغي أن يتوافر على اهتمام مخصوص بالفكرة المجتمعية ، على نحو استشرافي متكامل ، و تقديم " النماذج الثابتة " ... و عليه أن يتلمس في بحث البناء المجتمعي الإنساني على ضوء من المنظور القرآني " المثل الأعلى " و " آليات التغيير " و " التكامل " و ما دام المجتمع لا يبتعد تكوينه عن كونه مجموعة من المؤسسات المنتظمة المتفاعلة <sup>(١)</sup> ، التي لا تغيب عنها (( مقتضيات الإرادة الجماعية )) <sup>(٢)</sup> ؛ فإنَّ النظر القرآني يقدم نموذجاً مجتمعياً كاملاً ... و يظل مفهوم " الأمة " في الاستعمال القرآني مفهوماً مركزياً و رائداً في بناء الفكرة المجتمعية و إرساء دعائمها ، و يظل هذا المفهوم — قبل ذلك — المنطلق القرآني الذي يتضمن التأسيس الأكمل و الرؤى الحققة في ميدان بناء مجتمع الإنسان ... و من ثمَّ يقدِّمه لنا و قد استوفى عناصر الحياة و الفكر . و هكذا ينبغي أن تكون قراءته .

و مما يلاحظ أنَّ المنظومة الدلالية القرآنية التي عالجت هذا المفهوم و صاغته صوغاً شاملاً تقدِّمه و قد بنت له صرحاً من العلائق و التجاذبات مع مجموعة من الأفاهيم المتنوعة ؛ فيأتي مصوغاً على نحو فكري متنوع متماسك ...

واللافت للانتباه أنَّ هذا التعالق الدلالي في هذا الأفهوم يدفع نحو التعامل معه و تمثله تمثلاً كما ينبغي للاستعمال القرآني و مساحة الدلالة المعرفية الكبرى التي يتحرَّك فيها ؛ ذلك أنه يتناول " الأمة " و يبينها بلحاظ أبعاد من التعدد و التنوع ليست تقف عند حدود المساحة المجتمعية ( المألوفة ) ، بل تقوم على أساس من التخطي الواعي لتحل في منطقة النظر العقيدي ، و الفكري ، و البناء الإنساني الأكمل ، المتخذ من أبعاد الحياة البشرية كلها هوية و عناصر بناء و تكون يقوم على الفكرة المادية و مقوماتها و الفكرة المعنوية و مقوماتها .

### " الأمة " و آفاق النظر الدلالي العمودي :

إنَّ رسم الطيف الدلالي لمفهوم " الأمة " و تمثله على نحو قرآني دقيق يقتضي منا العمل على التعايش الدلالي مع ما يدل عليه هذا المفهوم كله ، و صوغ أشعة الدلالة بلحاظ الترابط فيما بينها من جهة ، و العدول عن الألفاظ الأصول في الدلالة على ما تضمن هذا المفهوم الدلالة عليه ؛ بغية الوقوف على " أسرارية " التعدد الدلالي ، و ما يمنحه من قيم تأثيرية و جمالية في رحاب الخطاب المنفرد . و هذا ما يجب أن يكون عند ممارسة التحليل الدلالي لأي مفهوم قرآني ؛ كي يصل بنا هذا التحليل إلى منطقة التفرد الدلالي التي يشغلها .

"الأمة": جماعة تجتمع على أمر ما، من دين، أو مكان، أو زمان<sup>(٣)</sup>. وهذه الجماعة بين الأربعين والمئة<sup>(٤)</sup>.

وردت لفظة "الأمة" في القرآن الكريم في دلالتها الاجتماعية (٥٦ مرة). وعلى الرغم من تعدد السياقات التي تحتوي هذه اللفظة، وكثرة تفريعاتها، ومن ثم كثرة دلالاتها، إلا أننا يمكن أن نصل إلى إدارة هذا التعدد السياقي ومعالجته معالجة شاملة منتجة، فنبدأ بمهدين تارة، ومستنتجين تارة أخرى... فنتناول مفهوم "الأمة" بلحاظين هما: (٥)

تناوله بلحاظ دلالاته على البعد الاجتماعي المجرد، بمعنى دلالاته على مجرد الجماعة البشرية التي تربطها رابطة الاجتماع. ومن ذلك قوله تعالى: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزَاهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ))<sup>(٦)</sup>.

ولمّا دلت "أمة" على القوم<sup>(٧)</sup>؛ فإنّها كانت ذات دلالة عامة كما في قوله تعالى: ((قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبًّا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ))<sup>(٨)</sup>. وكانت ذات دلالة محددة على قوم معدودين، وذلك في قوله تعالى: ((وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ))<sup>(٩)</sup>. وفي قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذَرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ))<sup>(١٠)</sup>. إن "الأمة" التي قالت هذا القول قوامها العديدي أربعون رجلاً<sup>(١١)</sup>.

وتناوله بلحاظ دلالاته على البعد المعنوي والفكري للجماعة البشرية. نعم لا يخلو التأسيس لنسق "الأمة" في المنظور القرآني من توخي الجوانب الفكرية والتربوية والمعنوية. ولعلي أستطيع تقسيم هذا التناول على عدد من الأنماط المجتمعية ذات التكون الفكري، مروراً بمسيرتها الحياتية وتاريخها:

١- جماعة الأنبياء. وهو ما خرجت "الأمة" للدلالة عليه في سياق عدد من الآيات المباركة. ومن ذلك قوله تعالى: ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ))<sup>(١٢)</sup>. لقد ((أشارت الآية الكريمة إلى جماعات من الناس متعددة بحسب الواقع اللغوي والتاريخي والشعوبي، ولكنها ترتبط فيما بينها بروابط فكرية وعقائدية وسلوكية، وأهداف سياسية وحركية، بحيث تعبر بمجموعها عن مجتمع كامل، وهذه الجماعات هي جماعة الأنبياء عبر التاريخ الإنساني التي كانت ترتبط فيما بينها برباط الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وبالغيب والوحي الإلهي، وبال دعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والتكامل في السيرة الإنسانية))<sup>(١٣)</sup>. وقريب من هذا إشارة "الأمة" في هذا السياق إلى ((ملة واحدة))<sup>(١٤)</sup> ينهل منها الأنبياء (عليهم السلام)؛ فيأتي خطابهم الإصلاحية موحد الأهداف متعدد الأدوار والمراحل. وفي سياق الكلام على "جماعة الأنبياء" تأتي دلالة "أمة" على المسلمين خاصة<sup>(١٥)</sup>، وذلك في قوله تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ))<sup>(١٦)</sup>. وتأتي أيضاً دلالتها على ((الكفار خاصة))<sup>(١٧)</sup>، وذلك في قوله تعالى: ((كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَّتَتَلَوْا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ))<sup>(١٨)</sup>.

وتأتي "أمة شهداء الأنبياء (عليهم السلام)" فعملوا على تكوينها الفكري والتنظيمي كما في "أمة موسى (عليه السلام)". يقول تعالى: ((وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ

وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ<sup>(١٩)</sup>، أو حرصوا على ذلك فما انقادت لهم كما في " أمة نوح ( عليه السلام ) " ((قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنَفِّسُ عَنْكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَّا عَذَابًا أَلِيمًا<sup>(٢٠)</sup>، و أم خلت لکنها ماثلة بأجواء الخراب و الشر ، كما في قوله تعالى: ((وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِحْدَىٰ الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا<sup>(٢١)</sup>)).

٢- تأريخ الأمة الإسلامية . من لوازم الوقفات التأملية و التحليلية التي تكون بين يدي مفهوم " الأمة " في البناء القرآني متابعته " تأريخ الأمة الإسلامية و تأسيسها و معالمها " و ذلك في مقطع طويل من سورة البقرة المباركة<sup>(٢٢)</sup>. فيظهر أنه يتضمن استعراضاً لموقف الوثنيين ، و موقف أهل الكتاب من هذه " الأمة " ، فضلاً عن عرض العقيدة السليمة للإسلام الحنيف ؛ و كذلك تقسيم أمم الأنبياء على أساس من " الملة " <sup>(٢٣)</sup>، والعقيدة ، و الفكر ، والسلوك<sup>(٢٤)</sup> .

و يتكلم القرآن الكريم على المظاهر التي تميز " الأمة " المسلمة من غيرها ، وهي مظاهر سلوكية ، و معنوية . من قبيل : <sup>(٢٥)</sup>

أ- الإيمان بكل الرسالات . و ذلك في قوله تعالى ((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ<sup>(٢٦)</sup>)).

ب- الوسطية . و ذلك في قوله تعالى : ((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ<sup>(٢٧)</sup>)). و " الوسطية " تعني — فيما تعنيه — أن هذه " الأمة " عدل ، و الحق معها <sup>(٢٨)</sup>، و تجمع الكمالات و السعادات المادية و المعنوية <sup>(٢٩)</sup>، من دون أن يغيب عنها التوازن بين الاتجاه الجماعي و الاتجاه الفردي في الحياة <sup>(٣٠)</sup> و صولاً إلى (( قيادة البشرية إلى الأهداف الكبيرة )) <sup>(٣١)</sup>، من خلال تأكيد ثقة المسلمين أن الناس يدخلون في مسؤوليتهم ؛ لأنهم يحملون مضامين الرسالة القائدة <sup>(٣٢)</sup>، و تبقى " الوسطية " أبرز ما تمتاز به " أمة " المسلمين .

٣- الجماعة البشرية عامة . استعمل القرآن الكريم " أمة " في سياق الكلام على الجماعة البشرية عامة بلحاظ ماضيها مرة ، و بلحاظ حاضرها و مستقبلها مرة . يقول تعالى في هذا السياق : (( كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(٣٣)</sup>)). و معناها كان الناس (( صنفاً واحداً ، و على طريقة واحدة في الضلال و الكفر )) <sup>(٣٤)</sup> . و يقول تعالى : (( وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ<sup>(٣٥)</sup>)). يجعلها واحدة في إيمانها <sup>(٣٦)</sup>، ووعياً بحقيقة الحياة و العمل على ضوء من هذه الحقيقة و ما تؤول إليه .

و ربط السياق القرآني بين الجماعة البشرية و جماعة الجن ؛ فيأتي استعمال " أمم " ليتكلم على الجماعات المتنوعة الخالية من " الجن و الإنس " ، و ذلك في قوله تعالى : (( قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لَأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ<sup>(٣٧)</sup>)).

٤- الخط الفكري . تستعمل " أمة " استعمالاً فريداً في المنظومة الدلالية القرآنية ؛ و ذلك دورانها بين الدلالة على الجماعة و على الفرد في إشارة إلى المحتوى الفكري الذي يتجلى تبعاً لمواقف الفرد أو الجماعة .

لقد سمى القرآن الكريم إبراهيم ( عليه السلام ) " أمة " . يقول تعالى : (( إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ )) النحل ١٢٠ . والمعنى أنه كان (( إماما يقتدي به الناس ؛ لأثمه و من اتبعه " أمة " ، فسمي أمة لأثمه سبب الاجتماع ))<sup>(٣٨)</sup> ؛ إذ كان (( أهلا لأن يؤتم به و يقصد و يتوجه إليه بانفراده في قبال سائر الخلق ))<sup>(٣٩)</sup> . ومن جهة ثانية (( يجوز أن يكون سمي أمة ؛ لأثمه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله في أمة ))<sup>(٤٠)</sup> . فهو (( الرجل الجامع للخير ))<sup>(٤١)</sup> و حده في زمانه . بمعنى أنه يعد " أمة " بما عنده من الخير و الصلاح .

و تدل " أمة " على (( برنامج و مقصد محدود ))<sup>(٤٢)</sup> ، أو دين<sup>(٤٣)</sup> معين ، و ذلك في قوله تعالى : (( وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ))<sup>(٤٤)</sup> . و في ذلك إشارة إلى فساد مثل هذا الاعتقاد ، و عدم امتلاكه المشروع أو المقومات التي تتحول به إلى مشروع يورث .

٥- الجماعة الحيوانية . لما كانت " الأمة " ملحوظا فيها طريقة العيش و نظامه ؛ تخطت السياق البشري إلى السياق الأممي الحيواني ، فكان الكلام على " أمم من الدواب و الطير " ، كما في قوله تعالى : (( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ))<sup>(٤٥)</sup> . فهذه الدواب و الطيور (( متشعبة و متشكلة و منقسمة إلى طوائف و أمم معينة ))<sup>(٤٦)</sup> على هيئة صفوف<sup>(٤٧)</sup> ، و (( أصناف ، و كل صنف من الدواب و الطير مثل بني آدم في المعرفة بالله ، و طلب الغذاء ، و توقي المهلك ، و التماس الدرع ))<sup>(٤٨)</sup> . و تشير " أمة " في هذا السياق إلى التنظيم . و لعل إشارتها إلى التنظيم في مجتمع الحيوان دلالة قوية على التزام الدلالي بينها و بين هذه الإشارة ؛ فهي إذا كانت في مجتمع الحيوان موحدة فلا شك من وجودها في مجتمع بني الإنسان أو هكذا يجب أن يكون عارفا الله ساعيا نحو الخير و ما ينفع الناس .

و مما تقدم ننتهي إلى أن القرآن الكريم (( حينما يؤكد هنا على مفهوم " الأمة " يعبر بها عن الجماعة التي يشترك أفرادها في التاريخ المعنوي ( العقائدي و السلوكي ) ... و كذلك يشترك أبناؤها في العقيدة و السلوك الاجتماعي القائم على هذه العقيدة ))<sup>(٤٩)</sup> ؛ فتظهر رابطة السلوك الاجتماعي العام الذي يريده القرآن الكريم أن يكون متمثلا بالدعوة إلى الخير و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، كما في قوله تعالى : (( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ))<sup>(٥٠)</sup> . وقوله تعالى : (( وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ))<sup>(٥١)</sup> . و تظل للفظ " الأمة " دلالتها على (( جماعة العلماء ))<sup>(٥٢)</sup> في هذا السياق ؛ فيكون العلم من مظاهر السلوك العام الذي تتبناه هذه " الأمة " . هذا في المجتمع الإنساني ، و يأتي المجتمع الحيواني ليضرب مثلا تنظيميا يكون محط أنظار مجتمع الإنسان .

و يظهر أيضا الأجل المعنوي في سياق استعمال " الأمة " ، و (( هو الأجل للعلاقات التي تربط بين هؤلاء الأشخاص عقائديا و سلوكيا ، و التغييرات الرئيسة التي تحصل في الجوانب المعنوية للروابط و العلاقات السائدة في تلك " الأمم " ، حيث يترتب على هذه التغييرات العقائدية و السلوكية التغييرات الاجتماعية ))<sup>(٥٣)</sup> . ومن ذلك قوله تعالى : (( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ))<sup>(٥٤)</sup> . وهنا إشارة دلالية لطيفة ذات معطيات فكرية واسعة تتمثل في أن (( ما يصدر من الناس من أعمال سلوكية و اجتماعية ، و ما يقومون به من نشاطات فكرية و معنوية صالحة أو طالحة يؤثر بشكل مباشر في حركة التاريخ و الأوضاع الاجتماعية للناس و في تحديد عمر هذه الأمة أو تلك ))<sup>(٥٥)</sup> . و لا شك أننا في هذه المقاربة الدلالية الفكرية نتعاطى مع أجواء عمر قيمي و أخلاقي لهذه " الأمة " أو تلك ، فضلا عن العمر التاريخي . ما يعني أن ثمة إشارة إلى ما تنهض به " الأمم " من منجزات حضارية تنعكس آثارها الإيجابية على المجتمع الإنساني بكامل أطيافه و شعوبه

، فنتحول تلكم المنجزات و الأمة المنجزة إلى مدار تربوي تدور حوله الشعوب في طلبها التطور و التحرر .

و لعل ارتباط " الأجل المعنوي " و " الأجل التاريخي " بحقيقة وجود " الأمة " و كينونتها الفكرية صار طريقاً لاستعمال مفهوم " الأمة " للدلالة على الزمان . و من ذلك قوله تعالى : (( وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ))<sup>(٥٦)</sup> . و لعله في هذا السياق زمان طويل<sup>(٥٧)</sup> ، إلى الحد الذي يحيل إلى التصور و (( كَأَنَّ الْأُمَّةَ مِنَ النَّاسِ يَنْفَرُضُونَ فِي حِينٍ ، فَتَقَامُ الْأُمَّةُ مُقَامَ الْحِينِ ))<sup>(٥٨)</sup> .

و منه قوله تعالى : (( وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون ))<sup>(٥٩)</sup> . تدل " أمة " في هذا السياق على الحين<sup>(٦٠)</sup> ، و (( السنين الخالية ))<sup>(٦١)</sup> ، و مدة من الزمان<sup>(٦٢)</sup> . و لعلها مدة طويلة يتجلى فيها الظلم و الضيق ؛ فكأنها تشير إلى زمان طبيعي و زمان نفسي عصيب ، و هكذا هي المدة التي تُقضى أيامها في السجن . و لا يبتعد استعمال " أمة " هنا عن الاستعمال المجازي ، أو التطور الدلالي<sup>(٦٣)</sup> لهذه اللفظة التي قد تكون دلالتها في هذا السياق على (( مرور دورة من طبقات الحكومة ))<sup>(٦٤)</sup> ؛ مما يعزز أنها مدة طويلة . و هذه الدلالة تفتح الباب أمام الكلام على " أمة " الناس جنباً إلى جنب مع " أمة " الحين و الزمان . فكأنه يشير إلى أمة مرحلة .

فيكون تناول مفهوم " الأمة " بلحاظ دلالاته الفكرية في سياق " الفرد " ، و " البرنامج الموروث " ، و " الجماعات من الإنس و الجن " ، و الجماعات التي شهدها الأنبياء عليهم السلام " ، و " الجماعات من الدواب و الطير " ، و دلالتها في سياق " الأجل " ، و الدلالة على " الزمن " يكون قد أثرى الدلالة و مدّ في تنوعها و فيضها الفكري ؛ مما يقود إلى استكمال المنظومة الفكرية لمفهوم " الأمة " بلحاظاتها المتنوعة بشرية مجتمعية ، و بشرية فردية ليست تبتعد عن " أمم " حيوانية ، و " أمم " ضلت معتقداتها ... و لا شك أنّ التنظيم الأممي لا ينفك عن وجوده في فضاء زمني .

#### " الأمة " و آفاق النظر الدلالي الأفقي :

أضحى من الواضح بمكان أنّ الكلام على مفهوم " الأمة " لا يكون منتجاً ما لم يُقرأ هذا المفهوم في سياقه المجتمعي العلائقي ، و يوضع بين مصاحباته المجتمعية ؛ وصولاً إلى نظر متكامل يتخذ من الطابع الفكري الشامل سمة له ، و هذا ما أردنا أن نفعله ونؤكّده من خلال مجموعة من المقاربات .

و لا ريب أنّنا مدعون في هذا السياق إلى أن نتناول هذا المفهوم اعتماداً على استثمار بعدي النظر الدلالي : البعد الأفقي ، و البعد العمودي .

يتضمن البعد الدلالي الأفقي لأي استعمال قرآني مجموعة من المصاحبات و العلائق التي تشكل نسقاً دلالياً عاماً ، و لا مندوحة — تبعاً لذلك — عن لحاظ المعنى بالنظر إلى شبكة الألفاظ التي تشترك مع هذه القيمة اللفظية أو تلك و تستغرق في دلالتها العامة ... و علينا في هذه الطريق أن نتطلع — متأمّلين مستشعرين — إلى ما تتمتع به هذه الوحدات الدلالية من خاصّة المعنى ؛ فنكون بهذا الصنيع — وحده — على مقربة من دقائق الاستعمال و تحسس المعنى الملتصق بكل لفظ من ألفاظ هذه الطائفة الدلالية أو تلك .

وأقرب ما يُمثّل طائفة ( الحقل اللغوي ) " الأمة " و يُؤسس لمشروعها الدلالي مجموعة من الإطلاقات اللفظية التي تجتمع حول كل منها مجموعة من الدلالات المتنوعة التي تستعمل للدلالة على تكوينات بشرية تعيش حالات من التفاعل الإيجابي أو السلبي ، و الحضور المشترك المحكوم بمحددات الزمان و المكان و مجموعة القيم والرؤى و الأهداف :

## " القوم "

جماعة الرجال<sup>(٦٥)</sup> ، و قليلا ما تدخله النساء في الاستعمال العربي ، وإن دخلته فعلى التبعية<sup>(٦٦)</sup> للرجال .

و توسعت دلالة هذا الاستعمال في السياق القرآني ، فجاء للدلالة على الرجال والنساء في أغلب مواضعه<sup>(٦٧)</sup> ، كما في قوله تعالى : (( وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ))<sup>(٦٨)</sup> . ومما جاء دالا على جماعة الرجال قوله تعالى في سياق الكلام على أخوة يوسف ( عليه السلام ) و كيدهم إيّاه : (( لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ . إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُمِينًا مِنْهُ وَتَحَنُّنَ عُصْبَةٍ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ))<sup>(٦٩)</sup> . فالقوم جماعة قد وحدها موقف فكري و فعلي ؛ فأخوة يوسف ( عليه السلام ) قد تبنا فكرة واحدة هي خلاصهم منه عليه السلام ، و من ثم عملوا جاهدين في سبيل تحقيقها ، و قد حققوها فعلا .

و كان ورودها في الاختيار القرآني ( ٣٨٣ )<sup>(٧٠)</sup> ، و قد أريد بها الدلالة على ثلاث جماعات<sup>(٧١)</sup> ، هي : جماعة البشر ، كما في قوله تعالى : (( وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ))<sup>(٧٢)</sup> . و جماعة الجن ، يقول تعالى : ((وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ))<sup>(٧٣)</sup> . و جماعة الملائكة ، كما في قوله تعالى ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ))<sup>(٧٤)</sup> . و ثمة استفادة هنا هي أن استعمال " قوم " مع الجن ، و مع الملائكة كان في سياق يتكلم على اقترابهم المكاني من البشر ، و كأن في ذلك إشارة إلى الألفة ، فضلا عن أن السياق يتضمن الدلالة على جوانب من الفكر ، و العقيدة ، والإصلاح . و هذا ما يشكّل حاجة مشتركة على نحو من القيادة و الدعوة و سبل التبليغ و الوعظ .

وما يعنينا في هذا السياق استخلاص مجموعة من المقومات و الملامح القرآنية التي تصطبغ بها هذه الجماعة ؛ لذلك نقف على استعمال " قوم " للدلالة على جماعة البشر ، الذي نجده قد توزع على سياقات متعددة منها :

١- استعمالها في سياق الكلام على الجماعة التي ينتمي إليها الأنبياء ( عليهم السلام ) بأواصر القرى والنسب ، او بأواصر العلاقات الاجتماعية الواحدة ، التي تقوم على أسس من الروابط التواصلية ، كاللغة ، و النصح ، و الموقف<sup>(٧٥)</sup> ... كما في قوله تعالى : (( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ))<sup>(٧٦)</sup> ، و قوله تعالى : (( وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ . وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ))<sup>(٧٧)</sup> .

٢- استعمالها مع الجماعة التي يوحدتها الإيمان بالله سبحانه ، و تشترك في صفات الكمال ، من العلم ، والتقوى ، و التفكير<sup>(٧٨)</sup> ... ومن ذلك قوله تعالى : (( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجْمَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ))<sup>(٧٩)</sup> .

٣- استعمالها في سياق الكلام على الجماعة البشرية بشكلها العام<sup>(٨٠)</sup> ، كما في قوله تعالى : ((قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ))<sup>(٨١)</sup> .

و بعد فإننا مثلما لا نخطئ دلالة " قوم " على القرب و الاتصال ، لا نخطئ فيها أيضا إحياء بالاختلاف و العداء <sup>(٨٢)</sup> و الجفاء . و مثال ذلك ما في السياق القرآني من ذكر " قوم فرعون " . يقول تعالى : (( وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى )) <sup>(٨٣)</sup> ، فإن ضلال فرعون جعله أبعد ما يكون عن هداية قومه ؛ و من ثم نكون أمام ملحظ سياقي يدفع نحو الإشارة إلى (( الخيانة و الإيذاء ، و هما من دواعي العداء )) <sup>(٨٤)</sup> ، إذا ما لحظ قومه مسألة الكبت و التسلط و الجبروت هذا من جهة ، و من جهة ثانية إذا ما لاحظوا أنه سائر بهم إلى الجحيم . و لعلنا هنا نلمح إشارة القرآن الكريم إلى أنه (( لا يخص العلاقة بين القوم بوحدة المكان أو النسب ، و إنما يتجاوز بها إلى العلاقة العقدية ، و الأخذ بأيدي القوم إلى الصلاح )) <sup>(٨٥)</sup> ، فإن هذه اللفظة (( قد تتطور فتطلق على الجماعة التي تربطها روابط معنوية )) <sup>(٨٦)</sup> من العدل ، و عدم الإقصاء ، و الرعاية .

٤- و قد ورد استعمال هذا المفهوم في سياق يتضمن الدلالة على انحسار دلالاته القبلية ، و لا سيما عندما وحد القرآن الكريم بين " القوم " و " النبي " ، و " القوم " و " القرية " التي يقيم فيها هؤلاء القوم ، و (( كأن القوم المقصودين هم المقيمون في القرى فقط )) <sup>(٨٧)</sup> . كما في قوله تعالى : (( وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا )) <sup>(٨٨)</sup> . و قوله تعالى (( وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ )) <sup>(٨٩)</sup> . و ما يلاحظ في هذا السياق (( أن التلازم بين النبي و قومه و الذي يبدو في المرحلة المكية كأنما يشير دائما إلى أنهم قومه القبليون ، يتراجع نسبيا في المرحلة المدنية ليصير تلازما بين النبي و قرية القوم ، و بذلك ينحسر المفهوم القبلي للقوم ليشمل كل المقيمين بالقرية أو المستقر و لو لم يكونوا من قبيلة واحدة )) <sup>(٩٠)</sup> .

### " القرن "

الاقتران : الازدواج . و القرن : قوم مقترنون في زمن واحد ، و يجمع على قرون <sup>(٩١)</sup> . و هم أمة من الناس بعد أمة <sup>(٩٢)</sup> .

و استعمل في الخطاب القرآني مفردا و مجموعا ( ٢٠ مرة ) ، منها قوله تعالى : (( وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ )) <sup>(٩٣)</sup> . و اللافت أن الاستعمال القرآني قد التزم بالتعبير به عن الجماعات التي أهلكها الله تعالى بسبب من طغيانها و ظلمها ؛ فهي لا تمثل وحدة أممية إيجابية ؛ لأنها لم تتنفع و لم تنفع بمقدراتها المادية و مدركاتها العقلية .

### " الجمع — جميع "

الجمع : هو الضم <sup>(٩٤)</sup> . و جماعة الناس <sup>(٩٥)</sup> ، و يقال لها جميع <sup>(٩٦)</sup> أيضا . أما الجُمَاع فهو ما اجتمع من قبائل شتى <sup>(٩٧)</sup> .

و ما جاء في الاختيار القرآني " الجمع " ، و " الجمعان " و " جميع " . و من ذلك قوله تعالى : (( سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ )) <sup>(٩٨)</sup> . و " الجَمْعُ " في هذا السياق هو تعبير عن (( مجتمع المشركين بصورة عامة )) <sup>(٩٩)</sup> . و قوله تعالى : (( إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ )) <sup>(١٠٠)</sup> . يدل " الجمعان " على (( الجماعتين الممثلتين لمجتمعين متقابلين متحاربين هما : مجتمع المسلمين ، و مجتمع المشركين )) <sup>(١٠١)</sup> . و ثمة ملحظ بياني دقيق هو أن في استعمال القرآن الكريم لم يأت " الجمع " أو " الجمعان " إلا في سياق الحرب حيث مواضع النصر أو الهزيمة من جهة ، و حيث موطن الوفاق على فكرة واحدة و رأي واحد — إن على الحق و إن على الباطل — من جهة ثانية .



أما " جميع " فقد استعملت في سياق الحشر كما في قوله تعالى : (( إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ))<sup>(١٠٢)</sup>. واستعملت في سياق التأهب للحرب، و ذلك في قوله تعالى : (( وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ . فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ . وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ . وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ))<sup>(١٠٣)</sup>. ومعناها جمع مستعدون للحرب<sup>(١٠٤)</sup>.

وليس يخفى الترابط الدلالي بين السياقين " سياق الحشر " ، و " سياق التأهب للحرب " ؛ ففيهما معا تُلحظ الغلبة أو الهزيمة ، و هذا ما لا يبعد لفظة " جميع " عن الدلالة السياقية التي عليها " الجمع " ، و " الجمعان " . بمعنى أن هذه الألفاظ تشترك في الدلالة على الجماعة المحاربة ؛ و من ثم يأتي الإيحاء بالقوة . غير أن ما يمتاز به " جميع " ( الحربية ) أنها اختصت بالجماعة الكافرة الضالة المحاربة ، و كأن هذا الاختصاص يأخذنا إلى إشارة دلالية قوية تتمثل في ضعف هذه الجماعة من الداخل إلى حد لا يُستبعد معه تخيل حالة من الانقسام . أما الفشل و الهزيمة بلحاظ الموقف العسكري أو الموقف المعنوي فهما يلزمان جماعة محاربة عبّر عنها الاختيار القرآني بلفظة " جميع " .

إذن نحن مع هذه الوحدات الدلالية أمام المضمون القيمي و الأخلاقي و الفكري للجماعة البشرية ؛ و لعل هذا ما يدعو إلى القول أن " الجمع " (( هي اللفظ الأقرب إلى لفظة " المجتمع " من ناحية المادة و الاشتقاق اللغوي ، كما أنها قريبة من ناحية المعنى أيضا ))<sup>(١٠٥)</sup>. و لا شك أننا نعنى بقرابته الدلالية ؛ ذلك أنها تؤسس بأية حال من الأحوال إلى الدلالة على تبني مشروع فكري و ثقافي موحد ، فضلا عن الوحدة الأخلاقية و الإطارية التنظيمية القائمة على أساس من التماسك و التناصر .

" الشعب — القبيلة "

الشعب : ما تشعب من القبائل<sup>(١٠٦)</sup> . و قيل أكبرها<sup>(١٠٦)</sup> ؛ فهو أكبر من القبيلة<sup>(١٠٧)</sup> ، وما كان عظيما من القبائل<sup>(١٠٨)</sup> .

و القبيلة : الجماعة التي يُقبل بعضها على بعض<sup>(١٠٩)</sup> ، و تعود إلى أب واحد<sup>(١١٠)</sup> . والقبيل: جمع قبيلة<sup>(١١٢)</sup> ، أو هم جماعة من قوم شتى<sup>(١١٣)</sup>.

واستعمل القرآن الكريم " الشعب " و " القبيلة " مجموعين في مورد واحد هو قوله تعالى : (( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ))<sup>(١١٤)</sup> ، و هذا الاستعمال يؤكد رابطة النسب أو اللغة التي ترتبط بها الجماعات البشرية<sup>(١١٥)</sup> ، مع لحاظ حالة (( التمايز بينها ، ولكن بهدف توثيق العلاقات الإنسانية ، من خلال التعارف و التعاون على إدارة هذه الحياة و التكامل في مسيرتها ))<sup>(١١٦)</sup>. و كأن " شعُوبا " تنصرف في هذا السياق إلى الجماعات غير العربية ، و قد ينصرف استعمال " قبائل " إلى الدلالة على العرب<sup>(١١٧)</sup> . بمعنى أن السياق القرآني يتكلم على شعوب متميزة ، و قبائل متميزة أيضا ، لكنها تمتلك أدوات التقارب و اللقاء و التجمع ، ما يجعلها قادرة على أن تتخطى في إطار مجتمعي موحد ، على الرغم من وجود حالة من " التنوع الداخلي " أو " الاختلاف الداخلي " الذي يمكن أن يُصنع صناعة تؤدي إلى أن يظهرها أو يقدمها على أنها مجتمعات قوية بلحاظ النظرة الخارجية اعتمادا على رؤى متنوعة من قبيل المواطنة و التعايش و السلم الاجتماعي .

ولعلنا بعد هذا الاستعراض السياقي المعارفي ننتهي إلى أن الوحدات الدلالية " القوم — القرن — القرون — الجمع — الجمعان — جميع — الشعب — القبيلة " عناصر داخلية و متمركزة في بطن " الأمة " و مسيرتها الحياتية ، و تكوينها الحضاري و الثقافي و القيمي ، فضلا عن أنها تمثل طاقاتها البشرية و الفكرية التي تعمل على نشر روح التغيير و الفضيلة تارة ، و نشر الشر تارة أخرى

...

و في هذا السياق التحليلي تأتي مسألة الفروق الدلالية التي تتم عن فرادة لغوية استعمالية ؛ و من ثم لا بد من أن تتوفر مقدرة عالية على التذوق اللغوي الدلالي يركن إليها في التماس المعنى و التحليل الدلالي السياقي . و من ذلك التفريق بين لفظتي " الأمة " و " القوم " ؛ إذ يلحظ أنّ لفظة " قوم " تستعمل للدلالة على (( الجماعة التي تكون الروابط فيما بينها روابط شعوبية ذات علاقة بالدم و التاريخ المادي و الأرضي ... أمّا " الأمة " فهي لفظة يراد منها بمعناها اللغوي مجرد الجماعة ، و لكنّها تطورت في الاستعمال القرآني فأصبحت كلمة تعني الجماعة التي ترتبط فيما بينها بالروابط الفكرية و العقائدية و السلوكية )) (١١٨) .

ولعل هذا لا يتعارض مع توحي " الروابط المعنوية " في لفظة " قوم " ، كما مر في موضع متقدم ؛ فقد كان ذلك على نحو " الاحتمال " ، أو " التطور الدلالي " . و تبعاً لهذه المفارقة الدلالية بين " القوم " و " الأمة " يكون (( لفظ " الأمة " هو اللفظ القرآني الأقرب مضموناً إلى مصطلح المجتمع ... و حينئذ تكون الآيات التي تناولت موضوع " الأمة " هي الآيات التي تناولت موضوع المجتمع الإنساني بشكل عام )) (١١٩) ؛ ذلك أنّ هذه اللفظة (( تنطوي على وحدة الهدف الذي يقصد )) (١٢٠) .

### " الأمة " بين الطابع الانقسامي التنظيمي و الطابع الثقافي للمحدات السكانية و المكانية :

إذا كان الحقوقيون قد تكلموا على مجموعة من المقومات التي تتكون بها " الأمة " من قبيل وحدة الأرض ، و الدم ، و اللغة ، و التاريخ ، و المصالح المشتركة ؛ فإنّ هذه المقومات ليست اختيارية من الأفراد ؛ و من ثم فهي لا تحقق " أمة " ما (١٢١) ، فيبقى تكوّن هذه " الأمة " أو تلك لا يكون إلا بوجود (( ما يشترك فيه الأفراد اشتراكاً اختيارياً إرادياً )) (١٢٢) . و مثل هذا الاشتراك يتمثل في الملاك الإيماني لجماعة ما ؛ فذلك وحده يصلح أن يكون أساس اتفاق هذه الجماعة التي يصدق عليها مفهوم " الأمة " و حقيقة تشكّلها على المستوى الخارجي (١٢٣) ، الذي يُشترط فيه التطاول الزمني الذي يجعل من جماعة " الأمة " جماعة ثابتة (١٢٤) .

و اللافت أنّ الاستعمال القرآني قد قدّم مجموعة من المفاهيم ذات الدلالة على جماعات تكوّن اجتماعها من خلال انقسامها عن تجمعات أكبر . و من تلك الجماعات ما شهدته الساحة الإسلامية في عصرها الأول ؛ فقد ظهر " المهاجرون " و " الأنصار " ، و " الأحزاب " . و كل جماعة من تلك الجماعات لها إطارها المجتمعي و تكوينها التنظيمي و الفكري ، و أهدافها الحياتية ، و أدواتها التي تضمن بها تحقيق هذه الأهداف ، و طريقة تعاطيها مع الجماعات المصاحبة لها . و طريقة التعاطي قد اتخذت طابعين طابع التعايش و التكافل و طابع الصراع و التصادم .

يقول تعالى : (( وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ )) (١٢٥) . و على الرغم من أنّ هذين المفهومين قد تحولا إلى منزلة و مكانة ؛ فللمهاجرين و الأنصار فضيلتهم بين المسلمين ، فهما قد اكتملا فزالا بعد إسلام العرب خارج المدينة و داخلها (١٢٦) .

و الملاحظ في هذا السياق على المستوى المجتمعي و المستوى الفكري أنّه (( قد انقسم " المهاجرون " عن قريش ثم العرب غير المسلمين . كما خرج " الأنصار " على السائد في يثرب . و الواضح أنّ ذلك ظلّ صحيحاً مادام في قريش و العرب أناس غير مسلمين ، و ما دام في يثرب أناس غير مسلمين أيضاً )) (١٢٧) . مع ضرورة لحاظ مسألة مهمة جداً لها متعلقاتها و آثارها في كثير من الصعد و لا سيما صعد البنية المجتمعية و التكوين السياسي ، و هذه المسألة هي (( أنّ المهاجرين و الأنصار ظلت لهم فضيلة الأولية و السبق دون المعنيتين الاجتماعيتين و السياسي أو آخر حياة النبي صلى الله عليه و آله و سلم )) . والصواب أنّهم ظلّ لهم ذلك في أواخر حياته و بعد مماته صلى الله عليه و آله و سلم .

و ما دعا إلى ذكر " المهاجرين " و " الأنصار " أنهما نواة التجمع التنظيمي لدولة " الأمة " الإسلامية ، هذا من جهة ، و هما تنظيمان يتضمنان لحاظات سياسية و إدارية ، فضلا عن اللحاظات الاجتماعية من إيواء و إعالة و تكافل ... و هذا كله داخل في البناء القرآني للمجتمع الأممي .  
أمّا " الحزب " و " الأحزاب " فقد استعمل القرآن الكريم " الحزب " للدلالة على (( جماعة متماسكة على مبدأ واحد ))<sup>(١٢٨)</sup> إن إيماننا و إن كفرنا . كما في قوله تعالى : (( وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ))<sup>(١٢٩)</sup> . و قوله تعالى : (( اسْتَحْذِرُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّمَا يَهْتَكِ الْفِتْرَةَ لَكُمْ هُوَ الشَّيْطَانُ الْفَاسِقُ ))<sup>(١٣٠)</sup> .

و استعمل " الأحزاب " ليدل (( على التحالف الذي قام بين قريش و هوازن و اليهود لغزو المدينة ))<sup>(١٣١)</sup> ، كما في قوله تعالى : (( وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ))<sup>(١٣٢)</sup> . و تجدر الإشارة في هذا السياق إلى (( أن المهاجرين و الأنصار لم يكن اجتماعهم لمقاتلة الأحزاب قبلها . فالملحوظ في مصطلح الحزب في القرآن أمران : اجتماع مجموعات من الناس من أصول قبلية مختلفة على مبدأ واحد أو لتحقيق هدف واحد ، و سبيله هذا الهدف أو المبدأ الذي اجتمعوا على أساس منه ))<sup>(١٣٣)</sup> .

و لقد أكثر استعمال القرآن الكريم مفهوم " الأحزاب " أثناء غزوة الخندق وبعدها ؛ ليتخذ استعمالها هذا (( بعدا سياسيا و اجتماعيا ))<sup>(١٣٤)</sup> و عسكريا و إعلاميا .

و لا شك في أنه لم يكن (( ذم الحزب ناجما عن انقسامه عن جسم أكبر ( كأمة أو جماعة أو قبيلة ) ؛ بل يظهر بوصفه حالة شرذمة و اختلاف مطلقين ، حافلين بشتى الاحتمالات السيئة . هكذا يظهر حزب الله ليس باعتباره تجمعا مضادا لحزب أو أحزاب الشيطان ؛ بل باعتباره حالة جديدة تلغي الحالة الحزبية السلبية السائدة . فالجماعة ( حزب الله ) مرحلة جديدة في الاجتماع البشري هي البديل عن الحالة القبليّة و الحالة الحزبية ))<sup>(١٣٥)</sup> . وهذه المرحلة الجديدة هي التي تؤسس لمشروع " الأمة " بأبعاده الفكرية و الثقافية بعيدا عن التحديد و التضييق المكاني أو الزماني .

و مما تجدر ملاحظته أنه بعد هزيمة " الأحزاب " و تراجعهم عن المدينة قد (( انخفض عدد مفاهيم الجماعات في القرآن ، و انخفضت حركية الموجود منها فثبتت مضامينها نسبيا ، و عاد التأكد على الجماعة و التوحد و التجمع مثل المرحلة المكية الأولى . فهناك المؤمنون أو المسلمون لا المهاجرون و الأنصار كما في آيات السنوات الأولى بالمدينة ))<sup>(١٣٦)</sup> .

و مما يتصل بالطابع الانقسامي المكاني تأتي مفاهيم " المدينة " ، و " القرية " ، و " البلد " ، و " البلدة " ، و " البلاد " في السياق القرآني ؛ إذ تأتي لتتصل بالمنظومة الدلالية و الفكرية التي تصوغ مفهوم " الأمة " بلحاظ دلالاته المكانية اللازمة لتكون جماعة أممية ما .  
و المدينة : فعيلة<sup>(١٣٧)</sup> من مدن في المكان إذا أقام فيه . و قد تكون مفعلة من دان . و المدينة : المصر ، أو الحصن<sup>(١٣٨)</sup> .

و استعمل هذا المفهوم في القرآن الكريم ( ١٣ مرات ) دلت على بلدة " مصر " القديمة<sup>(١٣٩)</sup> كما في قوله تعالى : (( قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ))<sup>(١٤٠)</sup> . ودلت على " يثرب " كما في قوله تعالى : (( وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ))<sup>(١٤١)</sup> . ويمكن أن يقال إن (( وجه الشبه بين مصر و يثرب أن السلطان ذا الشريعة بهما ، و أنهما رأس المنطقة المحيطة بهما ))<sup>(١٤٢)</sup> . مع ملاحظة السلطان الجائر في " مصر " و السلطان العادل القابل للآخر في " المدينة " .

ولا شك في أن أشهر المستقرات التي سميت بهذا الاسم " يثرب " مدينة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، و يبدو أن هذه التسمية للدلالة على (( تمييزها من باقي المستقرات ( القرى ) ، و

هي لا تتميز باستقرار الناس فيها ، بل بتحولها إلى عاصمة دار الإسلام ذات الشرعة و السلطان ))<sup>(١٤٣)</sup> ، و الترابط الثقافي و الفكري ، و هذا ما يجعل (( معنى الجماعة و الأمة الجامعة فيها ))<sup>(١٤٤)</sup> ، و الفارقة بينها و بين مستقرات بشرية أخرى ذكرها القرآن الكريم باسم " مدينة " .

و إذا ما وازنا بين " المدينة " و " القرية " فإن مفهوم المدينة يكون أكثر دلالة على التنظيم و التحضر ؛ فإن (( القرية سلبية في مواجهة المدينة غالبا ))<sup>(١٤٥)</sup> ؛ لأن " المدينة " مدعاة إلى الانفتاح و التعاطي مع الآخر المستقر أو التاجر أو الزائر ، فضلا عن الإشارة إلى السعة و تنوع الملامح و المظاهر المجتمعية .

و " القرية " قد لا تبعد عن هذا كثيرا فهي في الاستعمال القرآني تأتي للدلالة على المكان الذي يجتمع فيه الناس أو تأتي للدلالة على الناس<sup>(١٤٦)</sup> ؛ ما يجعلها متضمنة الإشارة إلى التنظيم أيضا . يقول تعالى : (( وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّيْنَاهَا عَذَابًا ثَقِيرًا ))<sup>(١٤٧)</sup> .

و يُنظر إلى " المدينة " بلحاظ أنها (( مظهر من مظاهر الحياة اليومية ))<sup>(١٤٨)</sup> الذي يقوم على التمايز و التشريع و الأساس الجغرافي الذي يعكس حالة من الزحام و ضيق المكان<sup>(١٤٩)</sup> .

و على الرغم من أن علماء الاجتماع قد وضعوا نوع العمل من المحددات التي من خلالها يفرقون بين المجتمع الحضري و المجتمع غير الحضري ؛ فذهبوا إلى أن المجتمعات التي لا تزاول الزراعة هي المجتمعات الحضرية . و منهم من جعل التجارة خصوصا هي مظهر الحياة المدنية<sup>(١٥٠)</sup> . على الرغم من ذلك كله يمكن القول أنه ليس مما يحدد المدينة بالضرورة مزاولة أهلها لمهن متنوعة غير مهنة الزراعة ؛ إذ نجد أن القرآن الكريم قد عبر بمفهوم " مدينة " عن بلدة يثرب و هي بلدة زراعية ؛ و من ثم فإن هذا يقود إلى أن هنالك محددات قد اعتمدها السياق القرآني في رسم ملامح المدينة و الكلام على طبيعتها ليس منها محدد نوع العمل ، و لعله ناظر إلى محددات تنظيمية و إدارية و فكرية .

و مما يتصل بهذا السياق ما عرّ به القرآن الكريم عن بعض المستقرات بمفهوم " البلد " ، و " بلدة " ، و " البلدة " ، و " البلاد " . و لفظ " البلد " مأخوذ من لزوم الأرض و الإقامة فيها<sup>(١٥١)</sup> . و " البلد " يُطلق فيراد به الدلالة على آية (( قطعة محدودة من الأرض مطلقا عامرة أو غيرها ))<sup>(١٥٢)</sup> . و يُطلق على هذه القطعة المحدودة بلحاظ كونها مسكونة أو مزروعة<sup>(١٥٣)</sup> .

و لقد جاءت هذه المفاهيم لإرادة الدلالة على العموم<sup>(١٥٤)</sup> في قوله تعالى : (( وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ))<sup>(١٥٥)</sup> .

ولقد عرّ بهذا المفهوم عن مكة<sup>(١٥٦)</sup> في قوله تعالى : (( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ))<sup>(١٥٧)</sup> . و سُمّيت مكة بلدا لإرادة الإشارة إلى تعظيمها و تفخيمها<sup>(١٥٨)</sup> .

ويظهر أن استعمال " البلد " ، و " البلدة " للدلالة على " مكة " جاء ليكون منظورا فيه إلى منظومتها الاجتماعية المتحققة و العلاقات التي تربط نسيجها الاجتماعي . و هكذا كان في سورة البلد المباركة في قوله تعالى : (( لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ))<sup>(١٥٩)</sup> إذ ترصد هذه السورة المباركة بهذا الاستعمال حالة من (( فساد الأوضاع في هذا البلد ، و النبي حلّ به قد عانى من ذلك ما عانى من أذى و اضطهاد ، و لمس أمراض المجتمع المكي ))<sup>(١٦٠)</sup> . و تبقى فضاءات استعمال " البلد " في السياق المكي مفتوحة لتمتلي بدلالته على التطلع إلى التغيير و نبذ مظاهر الفساد و إحلال مظاهر الصلاح و الإصلاح و الخير و العدل و المساواة .

و عبّر بها عن سبأ<sup>(١٦١)</sup> في قوله تعالى : ((لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ))<sup>(١٦٢)</sup> .

و إذا كان " البلد " عند علماء الاجتماع يُعبّر به عن المدينة أو هو أصغر منها<sup>(١٦٣)</sup>، فإنّ دلالة هذا البلد على الإقامة كأنّها تتضمّن — أو هكذا يبدو — في طياتها الدلالية أنّ في عقيدة من يقطنه عظمة بلدهم المرتبطة بمدى إيمانهم بعوامل غيبية تفيض صلاحاً على واقعهم لا بمدى قوتهم و جبروتهم و عدم مطابقة ما يعتقدون به لمقتضيات العقل .

هذا يعني أنّ القرآن الكريم يقدم إطلاقات لفظية توحى بما تعيشه التجمعات البشرية من تفاصيل حياتية إن شِرا و إن خيرا ؛ فيكون " البلد " نموذج التجمع المبني على الظلم و عدم الإنصاف ، و تأتي " القرية " لتقوي ملامح التطلع إلى الإصلاح الحالة في مفهوم " البلد " لتحل ناصعة قوية لا يعترئها فتور أو ضعف ظاهرة في استعمال " المدينة " . بمعنى أنّنا نعيش مع هذه الظهورات اللفظية حالات من التحول و التدرج المجتمعي الإصلاحية التغييرية . و إن لم يكن هذا عاما فعلى الأقل نجده يشخص في رحاب المسيرة الإسلامية المنتقلة من جور " البلد " و اضطهاده إلى تطلعات " القرية " وإحساسها ضرورة التغيير إلى " المدينة " القاندة للتغيير و ترسيخ مبادئ العدالة الاجتماعية الداعية إلى نشرها و الذود من أجلها . و هذا التحول أو الانتقال التغييرية أجد انتقالاته المفهومية واضحة ابتداء بقوله تعالى في مفهوم " البلد " : ((وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ))<sup>(١٦٤)</sup> ، مروراً بقوله تعالى في مفهوم " القرية " ((وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا))<sup>(١٦٥)</sup> ، وصولاً إلى قوله تعالى في مفهوم " المدينة " : ((مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ))<sup>(١٦٦)</sup> . و " البلد " ، و " القرية " مكة المكرمة ، و " المدينة " مدينة النبي صلى الله عليه و آله و سلم فهذه المستقرات تحكي مسيرة الدعوة إلى دين الإسلام دين العدل و المساواة قد صيغت صوغاً تفاعلياً ممهداً .

ومما يعزز هذه الفكرة الموازنة أنّ الاختيار القرآني قد تعاطى مع مفهوم " البلد " على نحو مخصوص إذ نلاحظ تلازماً دلالياً بينه و بين " القرية " من جهة و بينه و بين " المدينة " من جهة ثانية ما جعله يمثل بؤرة الحدث التغييرية من منطلق واضح هو أن تمثّلت فيه فكرة الصراع المجتمعي و من ثم فكرة الحاجة إلى التغيير ؛ فكان منطلق الثورة الفكرية الإصلاحية . و هذا التشابك الدلالي يظهر جلياً في اختيار السياق القرآني " البلد " ، و " البلدة " و " القرية " للتعبير بها عن " مگة " كما مر ، و لم يستعمل " المدينة " تعبيراً عنها . بمعنى أنّ منطلق التغيير هو " بلد " ، أو " بلدة " ، أو " قرية " . أمّا حاضرة التغيير و مركز دولته و تنظيمه و إدارته فهي " مدينة " كانت " قرية " متطلعة إلى التغيير فيها استعداد و نصرة و هذا ما أهلها أن صارت " مدينة " .

أمّا العلاقة بين " البلد " و " المدينة " فعلاقة تنافر و ضرورة تبدل و ممر العلاقة بينهما هو " القرية " . يقول تعالى: ((وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَّاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ))<sup>(١٦٧)</sup> .

ومن الفكرة الموازنة أيضاً أنّ " البلد " ، و " البلدة " ، و " البلاد " اقترنت بوجود نبي يعاني ظلم أهلها و تكذيبهم و عدم تلقيهم دعوته . أمّا " المدينة " فنبينا مطاع يقودها و ينظم شؤونها . و " مگة " لما كانت تضطرب و تموج بالدعوة محفوفة بالظلم و الاضطهاد هي " بلد " و لما أمنت و أمن أهلها لم يسمها القرآن الكريم " مدينة " لأنّها خلو من هذا النبي القائد المنظم الذي ينشر العدل و السلام . و هذا يعني أنّ " المدينة " القرآنية منوطة بالعدل و المساواة ؛ فهما ملاك الإيمان و الاعتقاد بدين التوحيد . و منوطة أيضاً بوجود قائد عدل ينشر فضائل السماء و يحفظ مظاهر العدل و المساواة .

ولعل هذا لا يقتصر على " مكة " بل من الممكن أن نتخذ من التلازم الدلالي بين هذه المفاهيم و ما رافقها دليلاً على دخول ما سواها في هذا الفهم ، فإنَّ " البلد " يتلازم مع " مَيِّت " . يقول تعالى : (( وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقِّاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ )) (١٦٨) . و أمَّا " البلدة " فتتلازم مع " مَيِّت " . يقول تعالى : (( لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنْآسِيَّ كَثِيراً )) (١٦٩) . وهذه المصاحبات الدلالية لا يقتصر فهمها على البعد المادي فهي تشتمل على بعد معنوي من الجهل و التكذيب و الظلم .

وينبغي أن نشير هنا إلى أننا نفهم هذا التلازم على فرق بين " مَيِّت " ، و " مَيِّت " ؛ فإنَّ الأولى صفة لازمة تستعمل في سياق الماضي المتحقق (١٧٠) . و هي ذات بنية مدعمة كان أغلب استعمالها القرآني في سياق الدلالة على مفارقة الحياة . أمَّا " مَيِّت " فبنيتها غير مدعمة في إشارة إلى عدم الاهتمام و الانحطاط و ضعف العقل . و يتعزز هذا عندما نعرف أنَّ أكثر استعمال " مَيِّت " القرآني في سياق الدلالة على الضلال و ذهاب القوة العاقلة . بمعنى أنَّها تحيل النظر إلى الموت المعنوي أكثر من الموت المادي .

و أمَّا " البلد " فقد تلازم مع " آمن " . يقول تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } (١٧١) .

و جاءت " طَيِّب " ، و " طَيِّبَة " مع " البلد " ، و " البلدة " أيضاً . يقول تعالى : (( وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ )) (١٧٢) . و يقول تعالى : (( لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ )) (١٧٣) . فهي تطلعات ذات آثار يُرتجى انتفاع أهل البلد بها . و هي أيضاً مظاهر مادية من الرخاء و الاستقرار و الأمن .

و يمكن أن نلاحظ و نحن نتكلم على محددات " المدينة " ، و " القرية " ، و " البلد " (( أنَّ ما يكشف عنه المجتمع الحضري من درجة كبيرة من اللاتجانس (١٧٤) بين الأفراد و تنوع الثقافات الفردية و تمدد أنماط الشخصيات و تمايز مستويات السلوك و سيطرة العلاقات ... ، و كل ذلك جعل التسامح أو اللامبالاة ضرورة لا غنى عنها في مجتمع يتطلب من أفرادها أن يكونوا على وعي و دراية بالمعايير الثقافية المختلفة المتباعدة و أن يتفاعلوا مع بعضهم البعض على هذا الأساس )) (١٧٥) . و لعل هذا ما قاد إلى أن يتسم مجتمع هذه مقوماته بأنَّه (( مجتمع مفتوح لا يتمسك بعبادات صارمة و تقاليد جامدة أو عرف حازم يورثها للأجيال المتعاقبة ، كما لا يفرض نتيجة لذلك تشابها و تطابقا على جميع أفرادها )) (١٧٦) . و لعل هذا يرتبط بما يجسده التحضر من مضامين مجتمعية تعتنى عناية فائقة بالتطورات التنظيمية ما يمثل حالة من الانسجام مع التطورات التقنية ذات البعد المادي (١٧٧)؛ فتتكوَّن علاقة من الاتساق بين التطورات المادية و التطورات الروحية . و ننتهي إلى أنَّ هذه الإطلاقات المكانية تستعمل عندما تتوافر معالم التنظيم و مقومات الأمن الغذائي ، و أسباب الاستقرار و التوطن ، فضلا عن أسباب الارتياح و الهجرة إلى مثل هذه الأماكن .

و يُنظر إلى " المدينة " أيضاً من منظار وظائفها المتنوعة ؛ فلمَّا كانت المدينة (( عبارة عن فكرة مجردة و لكن العناصر التي تتكون منها ، مثل الإقامة و البناءات الداخلية ، و وسائل المواصلات ، عبارة عن موجودات شخصية لها طبائع مختلفة ، و لذلك فإنَّ ما يجعل المدينة شيئاً محدداً هو ذلك التكافل الوظيفي لعناصرها المختلفة على هيئة وحدة كلية )) (١٧٨) ، فللمدن وظائف إدارية و دفاعية و ثقافية و إنتاجية (١٧٩) ... ، و هي ذات مظاهر تنظيمية من خلال عنايتها بالفاعل بين المفردات المجتمعية و المتطلبات الثقافية ، من خلال اعتماد ضرورات " التنظيم " الذي (( يمثل توافق السكان لظروف ضرورية يضطرون فيها إلى الارتباط و التعاون المتبادل مع بعضهم )) (١٨٠) .

و قريب من هذا استعمال " المدينة " في سياق موسى و العبد الصالح عليهما السلام ، كما في قوله تعالى : (( وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا )) (١٨١).

و جاءت " المدينة " للدلالة على بلدة أهل الكهف، وذلك في سياق قوله تعالى: (( وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا )) (١٨٢). ولعله تظهر هنا الدلالة على مكان البيع والتجارة أكثر من الدلالة على مكان السكن .

و كذلك استعملت " المدينة " للدلالة على ( القرية ) التي أرسل الله تعالى لها الرسل فكذبهم أهلها . يقول تعالى : (( وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ )) (١٨٣). و يبدو أن التحول من " القرية " إلى " المدينة " لغرض الإلمام بالدلالة على الجانب الفكري الذي حرص رجل " المدينة " على إظهاره و الدعاء إليه ، وهو (( حبيب النجار و كان قد آمن بالرسول عند مرورهم القرية )) (١٨٤).

و جاء هذا المفهوم للتعبير عن قرية العزيز ، كما في قوله تعالى : (( وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ )) (١٨٥). وكان في " المدينة " ما ليس في " القرية " من إشارة إلى الترف و التضرع .

و عبر القرآن الكريم بها في سياق قوم لوط عليه السلام ، و ذلك في قوله تعالى : (( وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ )) (١٨٦). و " المدينة " هي سدوم (١٨٧).

و بلد الرهط التسعة سماه القرآن الكريم مدينة و هي البلدة التي أرسل إليها صالح عليه السلام، و هي بلدة الحجر (١٨٨)، و ذلك في قوله تعالى : ((وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ )) (١٨٩).

و بعد تمثل البعد الدلالي و الفكري الكامن في الظهورات اللفظية المفهومية التي مرّت تتمثل " الأمة " في رباط فكري ثقافي يتخطى حدود الوحدة المكانية — و إن كانت المدينة واحدة من المفاهيم المكوّنة لها — و الوحدة اللغوية وصولاً إلى إثارات معرفية تحقق نفعاً لجماعة " الأمة " ، و تضمن لها خلوداً و سيادة أو ريادة على مستوى الفكر و القيم . إن " الأمة " و صناعتها تسير في طريق فكري خالص فيحرص مفكروها على التخلص من القيم المجتمعية و العمل على إحلال قيم إنسانية محلها ؛ فكلما تخلصت جماعة من الجماعات من قيمها المحلية و أبقت على القيم ذات النزوع الإنساني العام تقدّمت و صارت مثالا أمميا يُحتذى .

و هذا الذي ذكرته هو ديدن الأمم التي بنيت بناء فكرياً إلهياً فكل الذي فعله قادة فكرها أن قضوا على ممارسات مجتمعية و نشروا بدلاً منها ممارسات تمثل الرضا الإنساني ... فقد تبنّى الإسلام الحنيف هذا المبدأ و أدار مشروع إقامة " الأمة " على ضوء من مفاهيم و قيم يجتمع على قبولها و تبنيها المزاج الإنساني العام ؛ فحارب القتل ، و وأد البنات ، و الغزو ، و العدوان ، و الكذب ، و النفاق ، و الظلم ، و الرق ، و الفقر ... و نشر التسامح ، و الصدق ، و الأمانة ، و الأمن ، و الحرية ، و الحب ... نشر ذلك في تعاليمه و في عباداته التي أمر المسلمين بها . بمعنى أن عبادات الديانة الإسلامية من صلاة ، و صوم ، و حج ، و زكاة ، و صدقة ... ذات أهداف إصلاحية مجتمعية تدخل في بناء " الأمة " و تحقيق الانتماء الفردي الصميمي و المصيري لها ؛ لأنّه قد أوجد السلم الاجتماعي كاملاً .

فتنشأ " الأمة " من جماعة تجمعهم ثقافة واحدة ، بشرط أن يعترف كل فرد من أفراد هذه الجماعة بالآخر المنتمي <sup>(١٩٠)</sup> ، و غير المنتمي بلحاظ كون " الثقافة " (( نظاما من الأفكار و الإشارات و الارتباطات و طرائق السلوك و الاتصال )) <sup>(١٩١)</sup> .

### " الأمة " و المفاهيم المحيطة بين المقوم القرآني و النظر الاجتماعي :

تظل لمفهوم " الأمة " تعالقاته و تجمعاته المفاهيمية المحيطة التي لا تتفك ترتبط ببعضها من جهة و ترتبط بالتكون الأممي من جهة ثانية .  
و في هذا السياق نقف على " القومية " ، و " الأحقية التاريخية " ، و " الدولة " ، و " الوطن " ، و " اللغة " ، و " الإرادة " ...

من المفكرين من عدّ " القومية " و " الأمة " مترابطين فلا يمكن تصور إحداهما دون الأخرى <sup>(١٩٢)</sup> . و منهم من عدّ " القومية " ملاكا تنظيميا و مؤسسا لتكوّن أيّة أمة من خلال وحدة اللغة <sup>(١٩٣)</sup> أو وجود العمل ، و مظاهر الإصلاح المدني و الديني <sup>(١٩٤)</sup> . و هذه المسألة تجعلنا بمواجهة مسألة ثانية هي استعمال الفرد للغات متعددة غير لغته الأصلية ، و على الرغم من أنّ التعدد اللغوي (( يندرج ضمن مقتضيات الانفتاح العالمي و الحضاري )) <sup>(١٩٥)</sup> ، فقد أشار المفكرون إلى ما لذلك من أثر في زعزعة انتماء الفرد إلى أمته التي ينحدر منها <sup>(١٩٦)</sup> . و يمكن أن يكون التعدد اللغوي فاعلا مثل هذه الزعزعة ، و لكن يجب أن نلاحظ و نحذر شديد دور " وحدة اللغة " في التكوّن الأممي ؛ إذ لا يمكن أن تكفي الوحدة اللغوية أو تمثل ملاكا مؤسسا للأمة ، بل ينبغي عدم النظر إليها في طلب مثل هذا التكوّن .

و لست أريد أن أقبل أو أرفض <sup>(١٩٧)</sup> هذه المقولة التي تشير إلى التعدد اللغوي و أثره السلبي ، لكن ربّما يمكن أن نحمل هذه المقولة على أنّها لا ترمي إلى عدّ " وحدة اللغة " ملاكا تنظيميا حاكما في وجود هذه الأمة أو تلك و هذا وحده الذي يجعل منها مقولة مقبولة في السياق التنظيمي لنشوء الأمة و تكونها التاريخي .

و لا شكّ في أنّ مقولة " زعزعة الاختلاف اللغوي لبناء الأمة " تصادر (( تأريخ الفرد قبل تعلمه عدة لغات )) <sup>(١٩٨)</sup> ، و تختزل مسيرته الثقافية القبلية ، و تنظر إلى الفرد و مشيئته بعيدا عن عدّه داخلا في المحصلة الثقافية العامة لمجتمعه <sup>(١٩٩)</sup> الذي تحدّر منه . لذلك فالتعدد اللغوي لا يتنافى مع الانتماء الأممي ؛ ذلك أنّ اللغة لا يُنظر إليها في مثل هذا السياق على أنّها وسيلة تواصلية خطابية ، بل هي منظومة ثقافية متراكمة تسجل دوما و تحدد مسار الأفراد و تطبعهم بطوابع قيمية إرثية ذات أفق رحبة ؛ فتدفع باتجاه الصيرورة الفكرية للفرد و " الأمة " ، و إذا ما جاءت لغة أخرى فقد تفعل الفعل نفسه نسبيا فلا شكّ في أنّ الفرد سيجعل من المنظومة الفكرية التي تأسست على ضوء من لغته الأصلية منطلقا للمنظومة الفكرية التي يُنتظر أن تحفل بها اللغة الثانية التي تعلمها فيحرص أشدّ الحرص على أن يعمد إلى خلق أجواء من الإتساق و التلاؤم بين الأنساق الفكرية المرتبطة باللغة الأصلية و الأنساق الفكرية التي ستقوده إليها اللغة المتعلمة من دون أن يقع هذا الفرد في تناقضات بين هذه الأنساق .

و تتحدد رؤى " الأمة " تارة من خلال منطلقات مادية ، و منطلقات معنوية تارة أخرى ؛ فتجاهل المنطلقات المادية كل ما يتصل بالأبعاد الأيديولوجية و المتطلبات النفسية <sup>(٢٠٠)</sup> ، المتمثلة بالتواد و التراحم من جهة ، و بمجموعة العوامل الاقتصادية من جهة ثانية ...

أمّا المنطلقات المعنوية فقد سارت بفهم " الأمة " إلى أن أوصلتها إلى أنّها تكون يقوم على أسس روحية <sup>(٢٠١)</sup> خالصة .

و على الرغم من الصعوبات البالغة و المتنوعة التي تقف أمام من يريد تحديد مفهوم " الأمة " ؛ فهو مفهوم مراوغ <sup>(٢٠٢)</sup> له أبعاده الواسعة ، يمكن النظر إلى " الأمة " على أنّها وحدة بشرية عضوية



متماسكة تتبع من أحقية تاريخية مصيرية<sup>(٢٠٣)</sup>. وهذا الرأي يأتي على الرغم من أن النظر المجتمعي لا يشترط للناظر العضوي في بناء مجتمع ما ، ولا يقبل بالموازنة بين هذا البناء والتكوين العضوي البشري ؛ ذلك أنه ينظر إلى طبيعة " الأمة " من خلال العمل والحركة والوعي العام الذي يتخذ عمقا تاريخيا<sup>(٢٠٤)</sup> فاعلا .

وتجدر الإشارة إلى أن قضية " الأحقية التاريخية المصيرية " تطلب فيما أحسب في " الأمة " التي ستكون محط أنظار " الأمم " والثقافات المحيطة ، و " الأمة " التي تمتلك من الأدوات أو التي تسعى إلى امتلاك الأدوات التي تؤهلها إلى قيادة المشروع الأممي الإنساني وتصل به إلى الرخاء والتعايش .

ومن مجموع هذه النظرات يمكن أن تتجسد " الأمة " في أطر من (( وحدة الدولة والوطن والمجتمع ))<sup>(٢٠٥)</sup> ، اعتمادا على " القومية " الناتجة التي تسعى لخلق الانسجام بين الثقافة والدولة من جهة ، ومنح الثقافة البعد السياسي الكافي<sup>(٢٠٦)</sup> ، الذي يجعل منها إطارا تنظيميا ورقابيا عاليا لا يمكن أن تنمو " السياسة " في بيئة يعمد سياسيوها إلى إقصاء العمق الثقافي والمتقف .

و آية " أمة " من الأمم لا تجد نفسها ولا يبدأ تاريخها الحقيقي إلا في حالة حصولها على دولتها<sup>(٢٠٧)</sup> التي تخرجها من قوميتها السياسية<sup>(٢٠٨)</sup> إلى أمتها الثقافية التي تكون منطلقا واعيا بالماضي والحاضر والمستقبل .

و غير بعيد عنا في هذا السياق ما تنتجه " القومية " من انسجام قسري بين السكان أو ما يصاحبها من حاجات موضوعية للانسجام<sup>(٢٠٩)</sup> ؛ فيأتي " الإيقاظ القومي " ليمثل حالة ايجابية وسلبية في أن ؛ نظرا لتجذر الفكرة القومية داخل التنظيم المجتمعي وصولا إلى حالة من السيادة الثقافية ؛ بمعنى أن الفكرة القومية تعمل على إزالة التنوع الثقافي<sup>(٢١٠)</sup> ، وهذه سلبيتها .

و هذا كله يحدث على نحو من إعادة التأسيس والبناء ، بعيدا عن المحددات اللغوية والعرقية ؛ لتستحيل " الأمة " مجموعة من الثقافات التي تجمعها ثقافة جمعية فتصعد بها من النظر الفردي إلى الإطار المجتمعي ومن ثم إلى المجموع أو المشترك الإنساني ، وهذا ما لا يقدر عليه إلى المشروع الفكري الذي يقوم على أسس من المشتركات الإنسانية .

و يتشكّل بناء " الأمة " كما يتشكّل بناء " الدولة " ؛ فوجود (( الأمم مثل الدول ، احتمال و ليست ضرورة شاملة ، إذ لم توجد الأمم ولا الدول في كل الأزمان وفي كل الظروف ))<sup>(٢١١)</sup> . ومن جهة ثانية يمكن القول أن ظهور الأمم قد يكون بعيدا عن مباركة الدولة أو رضاها ؛ ومن ثم تثير مسألة الوجود القبلي للدولة على وجود " الأمة " نقاشا كثيرا<sup>(٢١٢)</sup> ، و جدلا متنوعا .

و ربّما يؤدي توافق " الدولة " مع " الأمة " وتكونها إلى انتهاك المبدأ القومي أو خرقه<sup>(٢١٣)</sup> ؛ ذلك أن وجود " أمة " واحدة وتكونها من طريق اتحاد مجموعة من الدول المتعددة يقود إلى إذابة المظاهر القومية والتخلي عنها لمصلحة المظاهر الثقافية . وهذا النظر يعني فيما يعني (( أن مثل هذه الأمة / الثقافة تصبح عندئذ ، وعندئذ فقط ، الوحدة الاجتماعية الطبيعية ، وهي لا تستطيع البقاء على قيد الحياة إعتياديا من دون صدقتها الخاصة بها أي الدولة ))<sup>(٢١٤)</sup> .

وهذا يتطلب منا أن نبحث عن عنصر آخر يعزز " الأمة " ويقوي من تماسكها ؛ فيأتي مفهوم " المواطنة " ليحل محل مبدأ " القومية " ، إذ (( تتطوي المواطنة على قيم سياسية ومؤسسية جوهرية للمواطن والدولة ، فهي تنقل المواطن من الفرد الخاضع التابع للسلطة السياسية في الدولة ، إلى المواطن المشارك والموجه للسلطة السياسية ))<sup>(٢١٥)</sup> . فتعمل " المواطنة " حقا على (( بناء شخصية وطنية موحدة للشعب ))<sup>(٢١٦)</sup> ، من خلال قاعدة المساواة ورابطة المشاركة بين الفرد ومؤسسة " الدولة " ، وخلق أجواء من إجماع ثقافي<sup>(٢١٧)</sup> شعبي يقوم على أساس من التفاعل وصولا إلى (( إعادة بناء علاقات الولاء على نحو جديد ، يلغي الولاء للبنى الطبيعية ويحل محله ولاء سياسي للدولة

((<sup>٢١٨</sup>) لا يقف عند الحدود " القومية " إلى آفاق " الوطن " و " المواطن " . و لا يخفى أن " القومية " هي الأولى من بين بنى الولاء الطبيعية التي ينبغي تخطيها . لأنها إذا ما وُحِّدَت جماعة معينة من جهة ، فإنها من جهة أخرى تفكك المجموع المجتمعي الذي تسعى " الدولة " إلى تكريسه . و لقد استقر في الدراسات المجتمعية فهم " الأمة " و التعريف بها اعتمادا على معطيات ثقافية مرة ، و معطيات قومية مرة أخرى ، و استقر أيضا في هذه الدراسات عدم إحاطة التعريفين و كفايتهما<sup>(٢١٩)</sup> ؛ لأنّ في " عصر القومية " و " الإيقاظ السياسي للذات " (( تعبد المجتمعات أنفسها بوقاحة و علانية ))<sup>(٢٢٠)</sup>. نعم قد (( تعمل الظروف الاجتماعية العامة من أجل معايرة الثقافات الرفيعة و إشاعة الانسجام فيها و إدامتها مركزيا ، و تغلغلها بين مجموع السكان و ليس فقط في أوساط الأقليات النخبوية ، فإنّ وضعاً ينشأ تتشكّل فيه الثقافات المعرّفة جيدا و المصادق عليها تعليميا و الموحدة إلى حد بعيد . النوع الوحيد من الوحدة التي يماهي الناس أنفسهم معها بإرادتهم و في الأغلب بحماسة . وتبدو الثقافات الآن على أنّها المستودعات الطبيعية للشرعية السياسية ... في ظل هذه الظروف ، مع أنّه في ظل هذه الظروف فقط ، يمكن للأمم في الحقيقة أن تُعرّف بلغة كل من الإرادة و الثقافة ، و في الحقيقة بلغة اندماجها معا بالوحدات السياسية . في هذه الظروف يرغب الناس في أن يكونوا موحدين سياسيا مع جميع أولئك ، و أولئك فقط ، الذين يشاركونهم ثقافتهم . و من ثم ترغب الدول في أن تمد حدودها إلى حدود ثقافتها، و أن تحمي ثقافتها و تفرضها على امتداد حدود سلطتها))<sup>(٢٢١)</sup> .

وهناك مبدآن يتحكمان بتشكّل الجماعات هما مبدأ الإرادة ، و مبدأ القبول . و أمّا " الأمة " فتتشكّل تبعا لوجود امكانات الإرادة ، و الالتزام الطوعي ، و المماثلة ، و الولاء ، و التضامن ، و الخوف ، و القسر ، و الاضطراب ؛ مما يجعل الأمم مجموعات بشرية تسعى سعيها من أجل مواصلة البقاء . و هذا الفهم يُدخل الجماعات البشرية السلبية في ضمن مفهوم " الأمة " من المتأمرين ، و السراق ... و غير ذلك<sup>(٢٢٢)</sup> من الجماعات التي تتخر في بناء المجتمع و ثقافته . و هذه المسألة من الأهمية بمكان فنحن نقترح كثيرا من القول أنّ " الأمة " جماعة بشرية تتمتع السلم المجتمعي و تعمل على ديمومته عمليا و ثقافيا .

و نتيجة لما سبق يكون النظر القرآني قد رسم الأطر العامة التي تتشكل على ضوء منها الأمم ، هذه الأطر التي تخلق وحدها أما صالحة متصالحة ترى و ترعى شؤون أبنائها على نحو من العدل و المساواة و التسامح . و لما عبّر القرآن الكريم عن هذه الأمم المتعددة بدليل لفظي واحد هو " الأمة " قادها قيادة فكرية و عاطفية إلى مساحة من التلاقي و التلاحم و عدم التناحر و التعادي ، و الإيمان بضرورة الإصغاء إلى مطالب الوحدة و منافعها . و كأنّ القرآن الكريم يتكلم على المجتمع الإنساني و قد صار أمة واحدة ، أو لنقل يتكلم عليه بلحاظ أنّه سيكون أمة واحدة تنشأ الخير و العدل و السلام .

ولعلنا في ختام هذه المقاربة اللغوية الفكرية المجتمعية نستشعر أنّ " الأمة " مجتمع يسوده الحوار ، و التعايش السلمي ، بعيدا عن الإقصاء و العدوان ... مجتمع متعلم ، متماسك ، وطني ، حركي ( ثوري ) يتطلع إلى الكمال و القرب الإلهي ... مجتمع يمتلك أدوات التغيير ، و مقومات الاستمرار ... مجتمع الأسوة الحسنة ، و التكافل ...

ولعلنا أيضا نلمح في " الأمة " تجمعاً يوحد و لا يفككه التنوع الفكري ؛ لأنّ وجود مجتمع الأمة يقوم على حيثيات مؤسساتية ترعى الاختلاف و تصوغ مواقفها و قوانينها التنظيمية على أسس من وحي الاختلاف و التنوع ... أو نلمح تأسيساً لملاح ثقافية ، و سياسية ، و اجتماعية ، و اقتصادية ... كأنّها لا تتفصل عن بعض من خلال إقامة ثقافة مفاهيمية تنمهي على ضوء منها الأشياء و يصبح كل منها حلولا للآخر من غير تعارض أو انفصام .

## الهوامش

وكانت في هذا السياق وقفة تأملية تتبنى مسألة " الفروق الدلالية " بين الألفاظ التي تشترك في الدلالة على العناصر المجتمعية المتنوعة ؛ ما يدفع نحو التكوّن القيمي والفكري و الثقافي لمجتمع " الأمة " التي يريد له الاستعمال القرآني أن يكون قد تكوّن عقدياً وحدوياً بعيداً عن المشتركات المادية من مكان و لغة و غير ذلك .

- (١). ينظر . علم الاجتماع الديني / د. إحسان محمد الحسن ٢٥ - ٢٦ .
- (٢). مفهوم الدولة/ عبد الله العروي ٢٠ . وفيه كلام على بداية التفكير في " الدولة " قاربتة إلى مفهوم " المجتمع " .
- (٣). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ( أم ) ٨٦ .
- (٤). ينظر . الألفاظ الكتابية ، عبد الرحمن الهمداني ٢٦١ .
- (٥). ينظر . المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ٩٨ - ٩٩ .
- (٦). النحل : ٩٢ . و اللفظ في : النساء : ٤١ ، الأنعام : ٤٢ ، ٤٨ ، الأعراف : ١٦٠ ، ١٦٨ ، يونس : ٤٧ ، النحل : ٣٦ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٨٩ ، المؤمنون : ٤٤ ، النمل : ٨٣ ، القصص : ٢٣ ، ٧٥ ، العنكبوت : ١٨ ، فاطر : ٢٤ ، غافر : ٥ .
- (٧). ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروز آبادي ٧٩ - ٨٠ .
- (٨). الأعراف : ٣٨ .
- (٩). القصص : ٢٣ .
- (١٠). الأعراف : ١٦ .
- (١١). ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٨٠ .
- (١٢). الأنبياء : ٩٢ . و اللفظ في : البقرة : ٢١٣ ، المائدة : ٤٨ ، يونس : ١٩ ، هود : ٩٣ ، ١١٨ ، الرعد : ٣٠ ) مرتان ( ، المؤمنون : ٥٢ ( مرتان ) ، فصلت : ٢٥ ، الشورى : ٨ ، الزخرف : ٣٣ ، الاحقاف : ١٨ .
- (١٣). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ٩٩ .
- (١٤). الوجوه و النظائر في القرآن الكريم / هارون بن موسى ٤٦ . و ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٧٩ .
- (١٥). ينظر . الوجوه و النظائر في القرآن الكريم ٤٦ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٨٠ .
- (١٦). آل عمران : ١١٠ .
- (١٧). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٨٠ .
- (١٨). الرعد : ٣٠ .
- (١٩). الأعراف : ١٦٠ .
- (٢٠). هود : ٤٨ . و مثلها : الأعراف : ١٦٨ .
- (٢١). فاطر : ٤٢ .
- (٢٢). الآيات : ١٣٠ - ١٤٣ .
- (٢٣). يعزز ذلك أنّ القرآن الكريم استعمل " أمّة " للدلالة على الملة ، كما مر . و هكذا كانت دلالتها في : البقرة : ١٢٨ ، فاطر : ٤٢ ، الزخرف : ٢٢ ، ٢٣ ، الجاثية : ٢٨ .
- (٢٤). ينظر . المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ٩٩ - ١٠٠ .
- (٢٥). ينظر . المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ١٠٠ - ١٠١ .
- (٢٦). البقرة : ١٣٦ .
- (٢٧). البقرة : ١٤٣ .
- (٢٨). التبيان في تفسير القرآن ٢ / ٥ .
- (٢٩). ينظر . الميزان في تفسير القرآن / محمد حسين الطباطبائي ١ / ٣٢٢ .
- (٣٠). ينظر . من وحي القرآن / محمد حسين فضل الله ٣ / ٥٤ .
- (٣١). من وحي القرآن ٣ / ٥٤ .

- (٣٢). ينظر . من وحي القرآن ٣ / ٥٤ .
- (٣٣). البقرة : ٢١٣ .
- (٣٤). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٨٠ .
- (٣٥). هود : ١١٨ .
- (٣٦). ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٨٠ .
- (٣٧). الأعراف : ٣٨ . و مثلها : الأنعام : ٤٢ ، الرعد : ٣٠ ، النحل : ٦٣ ، العنكبوت : ١٨ ، فصلت : ٢٥ ، الأحقاف : ١٨ .
- (٣٨). تأويل مشكل القرآن ٣٤٥ .
- (٣٩). التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، العلامة المصطفوي ١ / ١٥٢ .
- (٤٠). تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ٣٤٥ . و ينظر . تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ، أبو حيان الأندلسي ٣٦ .
- (٤١). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٧٩ .
- (٤٢). التحقيق في كلمات القرآن الكريم ١ / ١٥٢ .
- (٤٣). ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٧٩ .
- (٤٤). الزخرف : ٢٣ .
- (٤٥). الأنعام : ٣٨ .
- (٤٦). التحقيق في كلمات القرآن الكريم ١ / ١٥٢ .
- (٤٧). ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢ / ٧٩ .
- (٤٨). تأويل مشكل القرآن ٣٤٥ .
- (٤٩). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ١٠١ .
- (٥٠). آل عمران : ١٠٤ . و ينظر . المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ١٠١ .
- (٥١). الأعراف : ١٨١ . و اللفظ في : آل عمران : ١١٠ ، ١١٣ ، الأعراف : ١٥٩ .
- (٥٢). تأويل مشكل القرآن ٣٤٥ .
- (٥٣). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ١٠٢ .
- (٥٤). الأعراف : ٣٤ . و اللفظ في : المائدة : ٦٦ ، الأنعام : ١٠٨ ، الأعراف : ٣٤ ، ٣٨ ، ١٦٤ ، يونس : ٤٩ ، الرعد : ٣٠ ، الحجر : ٥ ، المؤمنون : ٤٣ ، ٤٤ ، الحج : ٣٤ ، ٦٧ .
- (٥٥). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ١٠٢ .
- (٥٦). هود : ٨ .
- (٥٧). ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٨٠ .
- (٥٨). تأويل مشكل القرآن ٣٤٥ .
- (٥٩). يوسف : ٤٥ .
- (٦٠). ينظر . تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ٣٦ .
- (٦١). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٧٩ .
- (٦٢). ينظر . التحقيق في كلمات القرآن الكريم ١ / ١٥٢ .
- (٦٣). ينظر . تأويل مشكل القرآن ٣٤٥ .
- (٦٤). التحقيق في كلمات القرآن الكريم ١ / ١٥٢ .
- (٦٥). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني ( قوم ) ٦٩٣ .
- (٦٦). ينظر . الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري ٣١٣ .
- (٦٧). ينظر . الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم / محمد جعفر العارضي ( أطروحة دكتوراه ) ١٣٣ .
- (٦٨). الأنبياء : ١١ .
- (٦٩). يوسف : ٧ - ٩ .
- (٧٠). ينظر . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي ٧٣٩ - ٧٤٦ .

- (٧١). ذهب أصحاب " الوجوه و النظائر في القرآن الكريم " إلى أنَّ لهذه اللفظة وجهين هما : بنو آدم ، و الملائكة . ينظر . وجوه القرآن / أبو عبد الرحمن الحيري ٤٧٤ .
- (٧٢). الأنعام : ١٣٣ . و هكذا تكون دلالاته في باقي المواطن ، خلا ما اذكره مع " جماعة الجن " و " جماعة الملائكة " .
- (٧٣). الاحقاف : ٢٩ - ٣١ .
- (٧٤). الذاريات : ٢٤ - ٢٥ . و هكذا كانت دلالاته في : الحجر : ٦٢ .
- (٧٥). ينظر . المجتمع الإنساني في القرآن الكريم / السيد محمد باقر الحكيم ٩٦ - ٩٧ .
- (٧٦). إبراهيم : ٤ .
- (٧٧). الحج : ٤٢ - ٤٣ .
- (٧٨). ينظر . المجتمع الإنساني في القرآن الكريم / السيد محمد باقر الحكيم ٩٦ - ٩٧ .
- (٧٩). الأنعام : ٩٧ - ٩٩ .
- (٨٠). ينظر . المجتمع الإنساني في القرآن الكريم / السيد محمد باقر الحكيم ٩٦ - ٩٧ .
- (٨١). الجاثية : ١٤ .
- (٨٢). ينظر . الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم ١٣٤ - ١٣٦ . و فيها تحليل سياقي تفصيلي يقف على الدلالة المعاكسة ( العداء ) للفظ " قوم " .
- (٨٣). طه : ٧٩ .
- (٨٤). الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم ١٣٤ .
- (٨٥). الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم ١٣٤ - ١٣٥ .
- (٨٦). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ١٠٣ .
- (٨٧). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ، د. رضوان السيد ٢٧ - ٢٨ .
- (٨٨). النساء : ٧٥ .
- (٨٩). القصص : ٥٩ .
- (٩٠). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٢٨ .
- (٩١). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ( قرن ) ٦٦٧ .
- (٩٢). ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤ / ٢٦٠ .
- (٩٣). يونس : ١٣ . و اللفظ في : الأنعام : ٦ ، هود : ١١٦ ، الإسراء : ١٧ ، مريم : ٧٤ ، ٩٨ ، طه : ٥١ ، ١٢٨ ، المؤمنون : ٤٢ ، الفرقان : ٣٨ ، القصص : ٤٣ ، ٤٥ ، ٧٨ ، السجدة : ٢٦ ، يس : ٣١ ، ص : ٣ ، الاحقاف : ١٧ .
- (٩٤). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ( جمع ) ٢٠١ .
- (٩٥). ينظر . اقرب الموارد في فصح العربية و الشوارد / سعيد الشرتوني ( جمع ) ١ / ٤٦٣ .
- (٩٦). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ٢٠١ .
- (٩٧). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ٢٠١ ، اقرب الموارد في فصح العربية و الشوارد ١ / ٤٦٣ .
- (٩٨). القمر : ٤٥ .
- (٩٩). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ٩٥ .
- (١٠٠). آل عمران : ١٥٥ .
- (١٠١). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ٩٦ .
- (١٠٢). يس : ٥٣ . و اللفظ في : يس : ٣٢ ، القمر : ٤٤ .
- (١٠٣). الشعراء : ٥٢ - ٥٦ .
- (١٠٤). ينظر . التبيان في تفسير القرآن / الطوسي ٨ / ٢٣ .
- (١٠٥). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ٩٥ .
- (١٠٦). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ( شعب ) ٤٥٥ .
- (١٠٧). ينظر . مختار الصحاح / الرازي ( شعب ) ٣٣٨ .

- (١٠٨). ينظر . فقه اللغة و سر العربية / أبو منصور الثعالبي ٢١٨ .
- (١٠٩). ينظر . مختار الصحاح ٣٣٨ .
- (١١٠). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ( قبل ) ٦٥٤ .
- (١١١). ينظر . مختار الصحاح ( قبل ) ٥٢٠ .
- (١١٢). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ٦٥٤ .
- (١١٣). ينظر . مختار الصحاح ٥٢٠ .
- (١١٤). الحجرات : ١٣ .
- (١١٥). ينظر . المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ٩٧ .
- (١١٦). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ٩٨ .
- (١١٧). ينظر . مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٦-٣٧ .
- (١١٨). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ١٠٣ .
- (١١٩). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ١٠٤ .
- (١٢٠). مفاهيم القرآن ، جعفر سبحاني ٢ / ٣٥٧ .
- (١٢١). ينظر . مفاهيم القرآن ٢ / ٣٥٤ .
- (١٢٢). مفاهيم القرآن ٢ / ٣٥٤ .
- (١٢٣). ينظر . مفاهيم القرآن ٢ / ٣٥٤ - ٣٥٨ .
- (١٢٤). ينظر . جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي، عزيز السيد جاسم ١٤٩ .
- (١٢٥). التوبة : ١٠٠ . و اللفظ في : التوبة : ١١٧ .
- (١٢٦). ينظر . مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٣ .
- (١٢٧). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٣ .
- (١٢٨). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣١ .
- (١٢٩). المائدة : ٥٦ .
- (١٣٠). المجادلة : ١٩ .
- (١٣١). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٢ .
- (١٣٢). الأحزاب : ٢٢ .
- (١٣٣). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٢ .
- (١٣٤). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٢ .
- (١٣٥). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٢ - ٣٣ .
- (١٣٦). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٦ .
- (١٣٧). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ( مدن ) ٧٦٣ .
- (١٣٨). ينظر . أقرب الموارد في فصح العربية و الشوارد ( مدن ) ٥ / ١٧٨ .
- (١٣٩). ينظر . التبيان في تفسير القرآن ٨ / ١٣٥ .
- (١٤٠). الأعراف : ١٢٣ . و هكذا دلالاته في : القصص : ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ .
- (١٤١). التوبة : ١٠١ . و هكذا دلالاته في : التوبة : ١٢٠ ، الأحزاب : ٦٠ ، المنافقون : ٨ .
- (١٤٢). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٨ .
- (١٤٣). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٩ .
- (١٤٤). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٩ .
- (١٤٥). مفاهيم الجماعات في الإسلام - دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ٣٩ .
- (١٤٦). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ( قرى ) ٦٦٩ .
- (١٤٧). الطلاق : ٨ .
- (١٤٨). ينظر . علم الاجتماع الحضري ، د. السيد حنفي عوض ٢١ .
- (١٤٩). ينظر . علم الاجتماع الحضري ٢٤ - ٢٥ .

- (١٥٠). ينظر . علم الاجتماع الحضري ٢٤ - ٢٥ .  
 (١٥١). ينظر . مفردات ألفاظ القرآن ( بلد ) ١٤٢ .  
 (١٥٢). التحقيق في كلمات القرآن ١ / ٣٥٤ .  
 (١٥٣). ينظر . التحقيق في كلمات القرآن ١ / ٣٥٥ .  
 (١٥٤). ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢ / ٢٧٢ .  
 (١٥٥). الأعراف : ٥٧ . و هكذا كانت دلالته في : آل عمران : ١٩٦ ( البلاد ) ، الأعراف : ٥٨ ( بلدة ) ، النحل : ٧ ( بلد ) ، الفرقان : ٤٩ ( بلدة ) ، فاطر : ٩ ( بلد ) ، الزخرف : ١١ ( بلدة ) ، ق : ١١ ( بلدة ) .  
 (١٥٦). ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢ / ٢٧٢ .  
 (١٥٧). إبراهيم : ٣٥ . و هكذا كانت دلالته في : البقرة : ١٢٦ ( بلد ) ، النمل : ٩١ ( البلدة ) ، البلد : ١ ، ٢ ( البلد ) ، التين : ٣ ( البلد ) .  
 (١٥٨). ينظر . أقرب الموارد في فصح العربية و الشوارد ( بلد ) ١ / ٢٦٤ .  
 (١٥٩). البلد : ١ - ٢ .  
 (١٦٠). التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن ١ / ١٩١ .  
 (١٦١). ينظر . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروز آبادي ٢ / ٢٧٢ .  
 (١٦٢). سبأ : ١٥ .  
 (١٦٣). ينظر . علم الاجتماع الحضري ١٧ .  
 (١٦٤). البلد : ٢ .  
 (١٦٥). النساء : ٧٥ .  
 (١٦٦). التوبة : ١٢٠ .  
 (١٦٧). محمد : ١٣ .  
 (١٦٨). الأعراف : ٥٧ . و كذلك في : فاطر : ٩ .  
 (١٦٩). الفرقان : ٤٩ . و كذلك في : الزخرف : ١١ ، ق : ١١ .  
 (١٧٠). ينظر . معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل صالح السامرائي ٤٨ .  
 (١٧١). إبراهيم : ٣٥ .  
 (١٧٢). الأعراف : ٥٨ .  
 (١٧٣). سبأ : ١٥ .  
 (١٧٤). كذا . و الصواب : عدم التجانس .  
 (١٧٥). علم الاجتماع الريفي و الحضري ، د. غريب محمد سيد احمد ، و د. السيد عبد العاطي السيد ٣٩٧ .  
 (١٧٦). علم الاجتماع الريفي و الحضري ٣٩٧ .  
 (١٧٧). ينظر . علم الاجتماع الريفي و الحضري ٣٣٠ .  
 (١٧٨). علم الاجتماع الحضري ٢٣ .  
 (١٧٩). ينظر . علم الاجتماع الحضري ٢٦ - ٢٧ .  
 (١٨٠). علم الاجتماع الريفي و الحضري ٢٢٣ .  
 (١٨١). الكهف : ٨٢ .  
 (١٨٢). الكهف : ١٩ .  
 (١٨٣). يس : ٢٠ .  
 (١٨٤). مجمع البيان في تفسير القرآن ٤ / ٤١٨ .  
 (١٨٥). يوسف : ٣٠ .  
 (١٨٦). الحجر : ٦٧ .  
 (١٨٧). ينظر . تفسير الصافي ٣ / ١١٧ .  
 (١٨٨). ينظر . التبيان في تفسير القرآن ٨ / ١٠٢ ، مجمع البيان في تفسير القرآن ٤ / ٢٢٦ .  
 (١٨٩). النمل : ٤٨ .  
 (١٩٠). ينظر . الأمم و القومية ، إيرنست رغيلنر ٢٤ .

- (١٩١). الأمم و القومية ٢٤ .
- (١٩٢). ينظر . الأمم و القومية ٢٤ .
- (١٩٣). ينظر . جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي ١٥٠ .
- (١٩٤). ينظر . الأمم و القومية ٥٧ - ٥٨ .
- (١٩٥). جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي ١٥١ .
- (١٩٦). هذا ما أشار إليه المفكر المجري كاوتسكي ، و ينقله المفكر عزيز السيد جاسم . ينظر . جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي ١٥١ .
- (١٩٧). رُفضت هذه المقولة من منطلقات قومية . ينظر . جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي ١٥١ .
- (١٩٨). جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي ( الهامش : ١٨٩ ) ١٥١ .
- (١٩٩). ينظر . جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي (الهامش : ١٨٩ ) ١٥١ .
- (٢٠٠). ينظر . جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي ١٤٩ .
- (٢٠١). ينظر . جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي ١٤٩ .
- (٢٠٢). ينظر . الأمم و القومية ٢٢ ، ٢٤ .
- (٢٠٣). ينظر . جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي ١٤٩ .
- (٢٠٤). ينظر . جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي (الهامش: ١٨٧) ١٤٩ .
- (٢٠٥). جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي ١٥٣ .
- (٢٠٦). ينظر . الأمم و القومية ٩٠ .
- (٢٠٧). ينظر . محاضرات حول فلسفة تاريخ العالم ، هيجل ١٣٤ .
- (٢٠٨). ينظر . الأمم و القومية ٩٨ - ٩٩ .
- (٢٠٩). ينظر . الأمم و القومية ٩٣ - ٩٤ .
- (٢١٠). ينظر . الأمم و القومية ٩٦ - ٩٧ .
- (٢١١). الأمم و القومية ٢٤ .
- (٢١٢). ينظر . الأمم و القومية ٢٤ .
- (٢١٣). ينظر . الأمم و القومية ٢٤٢ .
- (٢١٤). الأمم و القومية ٢٥٦ .
- (٢١٥). إشكالية بناء الثقافة المشاركة في الوطن العربي ، د. حسين علوان ٩٩ .
- (٢١٦). إشكالية بناء الثقافة المشاركة في الوطن العربي ، د. حسين علوان ٩٩ .
- (٢١٧). ينظر . إشكالية بناء الثقافة المشاركة في الوطن العربي ، د. حسين علوان ١٠٠ ، ١٠٣ .
- (٢١٨). إشكالية بناء الثقافة المشاركة في الوطن العربي ، د. حسين علوان ١٠٠ .
- (٢١٩). ينظر . الأمم و القومية ١٠٩ - ١١٠ .
- (٢٢٠). الأمم و القومية ١١٢ .
- (٢٢١). الأمم و القومية ١١٠ - ١١١ .
- (٢٢٢). ينظر . الأمم و القومية ١٠٧ - ١٠٨ .



## المصادر و المراجع

## • القرآن الكريم .

- (١). إشكالية بناء الثقافة المشاركة في الوطن العربي ، د. حسين علوان ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط ١ ، بيروت ٢٠٠٩ .
- (٢). اقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، سعيد الشرتوني، دار الأسوة للطباعة والنشر ، ط ١، إيران ١٤١٦ هـ .
- (٣). الألفاظ الكتابية ، عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني ، تقديم و فهرسة : د. أميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ١٩٩١ .
- (٤). الأمم و القومية ، إيرنست غيلنر ، ترجمة : د. مجيد الراضي ، دار المدى للثقافة والنشر ، ط ١ ، سوريا ١٩٩٩ .
- (٥). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية ، بيروت .
- (٦). تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق : احمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية .
- (٧). التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق : احمد قصير العاملي ، قم ، مكتب الإعلام الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- (٨). تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : د. أحمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، ط ١ ، بغداد ١٩٧٧ .
- (٩). التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، العلامة المصطفوي ، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي ، ط ١ ، إيران .
- (١٠). التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، ط ٨ ، مصر ٢٠٠٤ .
- (١١). جدل القومية و الطبقة في السياق التاريخي لنشوء الأمة العربية و كفاحها القومي ، عزيز السيد جاسم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٣ ، بغداد ٢٠٠٦ .
- (١٢). الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم، محمد جعفر، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، ٢٠٠١ .
- (١٣). علم الاجتماع الحضري ، د. السيد حنفي عوض ، شركة الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، ط ٢، القاهرة ١٩٨٧ .
- (١٤). علم الاجتماع الديني - دراسة تحليلية حول العلاقة المتفاعلة بين المؤسسة الدينية و المجتمع ، د. إحسان محمد الحسن ، بغداد ٢٠٠٣ .
- (١٥). علم الاجتماع الريفي و الحضري ، د. غريب محمد سيد احمد ، و د. السيد عبد العاطي السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٨ .
- (١٦). الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، علق عليه و وضع حواشيه : محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ٢٠٠٥ .
- (١٧). فقه اللغة و سر العربية ، أبو منصور الثعالبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ن لبنان .
- (١٨). المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الاشرف ٢٠٠٦ .
- (١٩). محاضرات حول فلسفة تأريخ العالم ، هيجل ، ترجمة : نسبت ، كامبرج ١٩٧٥ .
- (٢٠). مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر الرازي ، دار الرسالة ، الكويت ١٩٨٢ .
- (٢١). معاني الأبيية في العربية ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط ١ ، جامعة بغداد ١٩٨١ .
- (٢٢). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- (٢٣). مفاهيم الجماعات في الاسلام — دراسات في السوسيولوجيا التاريخية للاجتماع العربي الإسلامي ، رضوان السيد ، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ، ط ١ ، بيروت ١٩٩٣ .
- (٢٤). مفاهيم القرآن ، جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق ، ط ٤ ، قم ١٤١٣ هـ .
- (٢٥). مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ذوي القربى ، ط ١ ، ١٩٩٦ .
- (٢٦). مفهوم الدولة ، عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي ، ط ٧ ، الدار البيضاء ٢٠٠١ .
- (٢٧). من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٣ ، بيروت .
- (٢٨). الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، دار الكتب الإسلامية ، ط ٣ ، طهران ١٣٩٧ .
- (٢٩). وجوه القرآن ، أبو عبد الرحمن الحيري ، تحقيق : د. نجف عرشي ، مؤسسة الطبع التابعة لأستانة الروضة الرضوية المقدسة ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .
- (٣٠). الوجوه و النظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار البشير، الأردن ٢٠٠٢ .

## Abstract

## " The nation society in the quranic view a semantic and ideological approach "

If the social community is not more than a number of organized establishments cooperating with each other and based on real group administration the quranic view will no doubt provide a typical social model ...

The concept of " nation " in the quranis usage is always a central concept in building the social idea and developing its bases , this concept is the quranic starting point that includes the most perfect foundation and real views in the field of building human society which is provided as a concept with all the factors of life undieaology . And as thought should be read ...

The study sets to read the quranic social view starting from the concept of " nation " in relation to its though dimensions horizontal and vertical , the semantic observation that the quranic semantic system that treated this concept and formed it in a comprehends way and provided it as model of relations with a group of variable concept , which comes as variable connected ideological form .

It important to refer in this semantic ideological a preach to the feat that the semantic relation provided by this concept leads to dealing with it and acting it as it should be in the quranic use and the big semantic and epistemological area it which it moves , because it deals with the " nation " and shows it from different dimensions of variability which do not stop at the familiar social boundaries of it stand son the bases of idea logical vision and the perfect human building .

